تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

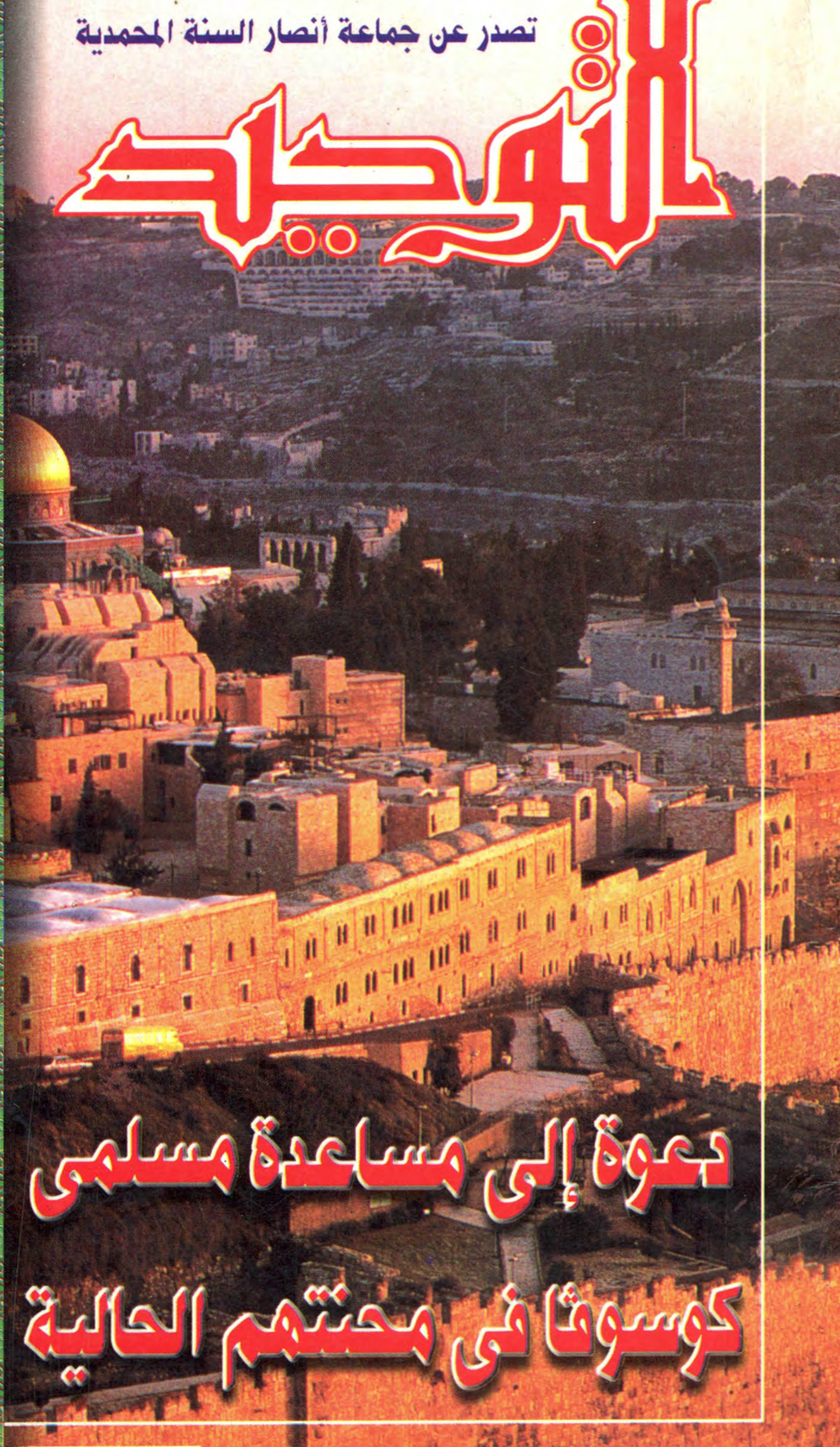

دعوة إلى مساعدة مسلمى كوسوفا فى محنتهم الحالية

. نصيحة
إلى خطبا
الأوقاف
. الشفاعة
. أهوال
يوم
القيامة

السنة الثامنة والعشرون العدد الثانى صفر ١٤٢٠ طبعة خاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

جماعة أنصار السنة المحمدية

المركز العام : القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين

هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

سكرتير التحرير
جمال سعد حاتم

المشرف الفني
حسين عطا القراط

في هذا العدد

الافتتاحية : الرئيس العام : خداع الشيطان	٢
كلمة التحرير : رئيس التحرير : قضايا معاصرة	٤
باب التفسير : د . عبد العظيم بدوي :	
أهوال يوم القيامة	٨
باب السنة : الرئيس العام : الشفاعة	١٢
موضوع العدد : الشيخ / مجدي قاسم :	
أولئك الرجال حقًا .. رجال المساجد	٢٠
دعوة إلى مساعدة مسلمي كوسوفا ..	
سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز	٢٤
أسئلة القراء عن الأحاديث :	
فضيلة الشيخ / أبو إسحاق الحويني	٢٥
باب الفتاوى : لجنة الفتوى	٢٨
فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي (رحمه الله)	٣٢
الحسبة الإسلامية في المدينة الفاضلة	
بقلم / زيد محمد الروماني	٣٤
قصيدة : الشيخ / محمد عبد الحكيم القاضي	٣٦
عقائد الصوفية : ع . م / محمود المراكبي	٣٧
فالله خيرًا حافظًا وهو أرحم الرحيم	
الشيخ / أحمد طه نصر	٤٣
نصيحة إلى خطباء الأوقاف : الشيخ/ حسان السيد	٤٦
سيرة عالم عابد فقدته الأمة : د / طارق الخويطر	٤٧
باب السيرة : الشيخ / عبد الرازق السيد عيد	٤٩
طريق الخلاص الإخلاص : الشيخ / أسامة سليمان	٥٢
الفرق اليهود : كمال بن عزب	٥٤
من روائع الماضي : الشيخ / محمد خليل هراس	٥٦
لا تشد الرحال إلى إلا ثلاثة : عبد الحافظ زين العابدين	٦٠
المجتمع الإسلامي وقضايا العصر :	
كتبه / مصطفى سيد عارف	٦٢

الاشتراك السنوي :

١- في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية داخلية باسم : مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين) .

٢- في الخارج ٢٠ دولارًا أو ٧٥ ريالاً سعوديًا أو ما يعادلها.

ترسل القيمة بنكية أو شيك ، على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم : مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

التحرير : ٨ شارع قوله – عابدين – القاهرة : .... ☎ : ٣٩٣٦٥١٧

فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات : .... ☎ ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي :

مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية .

ثمن النسخة :

مصر ٧٥ قرشًا ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس ، السودان ١,٥ جنيه مصري ، العراق ٧٥٠ فلس ، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني .

مع القراء

الواقع والدليل

قبل سقوط الخلافة الإسلامية كانت تركيا هي التي تقود العالم الإسلامي باسم الخلافة ، وأما اليوم فإن الحكومة التركية هي أكثر حكومات العالم عداوة للإسلام وحربًا عليه !!

وكانت مدن العراق (بلد نبي اللَّه إبراهيم عليه السلام) مصادر إشعاع للعلم والمعرفة .

وأما اليوم فيحكمها حزب البعث الذي يؤمن بالبعث الدنيوي ، ويكفر بالبعث الأخروي !!

وكان الأزهر في ماضيه العريق هو الذي يقود مصر ، ولم يكن المصريون يفعلون أو يتركون إلا بأمر العلماء .

وأما اليوم فقد تحول كثير من علمائه – باعترافهم – إلى موظف عمومي !!

وأصبح شعب مصر يعيش بلا قيادة دينية حقيقية ، فقادته وسائل الإعلام !!

فهل إلى خروج من سبيل ؟!!

رئيس التحرير

خداع الشيطان

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

الحمد للّه ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه وبعد :

فإن الإسلام حرر الإنسان من كل عبودية لتبقى العبودية للّه تعالى وحده لا شريك له ، حتى انطلق الإنسان من عقاله لربه عابدًا ، وفي أرضه عاملاً ؛ فحقق العدل وفتح البلاد ، وأثمرت الأرض وأخرجت خيراتها ، وانطلق المسلم يعمل في الأرض لا يخشى إلا اللّه سبحانه وتعالى .

لكن الشيطان الذي سمى الشجرة المحرمة ((شجرة الخلد)) هو الذي هوّن على الناس الربا ، فسماه للناس ((فائدة)) ولا فائدة . هذا الشيطان لا يزال يعمل في عقول الناس ويوسوس في صدورهم ويجند له جندًا يبيحون الشهوات ويروجون للشبهات ، فكان من ذلك دعوى ((تحرير المرأة)) التي حررها الإسلام ، أراد الشيطان أن يعيدها لتصبح وسيلة دعاية رخيصة لكل سلعة تباع وتصبح معروضة منشورة من أجل كسب المال ، فتصبح فريسة للشيطان وأعوانه وللذئاب الضارية والوحوش المفترسة .

والعجب أن المرأة في كثير من أحوالها خُدعت ، بل وخدع معها ذووها ممن يهتمون بحياتها وحيائها وسعادتها ، حتى صار المعتدل في ذلك غريبًا ، والملتزم بينهم شاذًا ؛ لأن الذئب اليوم هو الراعي ، والمفترس اليوم هو الناصح ، واسمحوا لي أن أضرب هذا المثال :

وقف الثعلب يومًا أمام قفص الدجاج يتغنى بالحرية وطعمها ومعناها وقيمتها ، وذل الأسر وجريمة الحبس ، وأثر ذلك على السجين ، ثم يقول للدجاج : ظالم ذلك الذي حبسكن في قفص ، مجرم كل من سكت عن ذلك ، فأخذ الدجاج يتهامسن فيما يناقش حججه ويتداول قوله ، حتى وجدت تلك الدعوى لقلوب الدجاج مسلكًا ومسارًا ، فوجد ذلك الكلام من الدجاج متحمسين ومدافعين ، فخفضت أصوات المصلحين ، وشكك المتحمسون في أقوال المصلحين ونواياهم ، حتى أسكتوا صوت الصواب والحق ، فلما سأل المتحمسون من الدجاج الثعلب المتقمص لثوب الواعظ المصلح عن الحل ، قال : حطموا الأسوار ، وأزيلوا الحجاب ، واكشفوا النقاب ، واخرجوا من الأقفاص ، فلستعانوا بكل ما لديهم من قوة وحيلة فخرجوا من أقفاصهم ، فلم يبق منهم داخل القفص إلا القليل ، فأكلهم الثعلب ثمنًا للحرية التي زعم لهم .

كذلك الشيطان يخدع المرأة في طلب الحرية وتحرير المرأة ، فما استجابت امرأة لتلك الدعوى إلا أكلها وافترسها الشيطان بشباكه وشراكه وجنده وأعوانه .

بعد هذا المثال أريد أن أقول : إن الشيطان صور للمرأة ، بل وللرجال كذلك أن شرع اللّه فيه إهانة للمرأة أو عدوان على حقها ، فكان أسرع من استجاب هم الكفار الذين ليس لهم من دين يردع ، ولا كتاب يصون ويحفظ ، فسنوا القوانين التي صوروها تحريرًا للمرأة وحفاظًا على حريتها ، فإذا بتلك الحرية تجعل الحياة على الرجل في البيت

غلاً وقيودًا ، فهرب الرجل من البيت كارهًا الزوجة والولد ، فشقيت المرأة وزادت تعاستها بقوانين جعلت حياة الرجل معها لا تُطاق ؛ لذا فإنك لا تجد في المجتمعات المتحضرة في بلاد الكفر مكانًا للرجل في البيت إلا زائرًا أو ضيفًا .

تعترف بأنها تعيش معه يرافقها في سفرها وتعترف أنهما ليسا بزوجين ! وليس لهما رغبة في إنجاب الأبناء ، فلها بنت عمرها ستة وثلاثين عامًا وهو ليس له أولاد ، وإن كان له فلا يعرفهم ، ولا أين هم . تلك نتائج الحضارة ، الرجل قد فر من البيت لتتحرر المرأة من القيد .

صور الشيطان للمرأة أن تعدد الزوجات جريمة وعدوان ، مع أن تعدد الزوجات هو الذي يجعل المرأة عزيزة غالية ، فنسبة النساء مع الرجال تزيد قليلاً بنسبة منوية ضئيلة هي في الآحاد الأولى من الأرقام ، بحيث لو حدث تعدد للزوجات في نسبة ضئيلة من الرجال لأصبحت كل امرأة لها زوج وبقي الرجال في بحث عن التعدد فلا يجدون ، عندئذ لا تبقى صغيرة ولا كبيرة ، دميمة ولا جميلة ، فقيرة ولا غنية ، إلا وجدت الخُطّاب ، بحيث ترفض وتختار ، بل ولا تقبل الهوان في بيت ؛ لأنها إذا انتقلت من بيت وجدت أعز منه وأعرف بحقها وأصون لكرامتها وشرفها .

ثم بعد أن حرم الشيطان تعدد الزوجات ، أوحى للناس ، خاصة النساء - وأخص من ذلك الفتيات - أن نسبة الإناث ضعفي أو ثلاث أضعاف عدد الرجال ، عندئذ فتح للمرأة أبواب من المسالك منها :

١- أن تحمل معها السلاح قبل أن تدخل البيت ، فيطول بها زمن العزوبة ، وتشقى بلوعتها ، لا تأنس فيها إلى زوج أو تأوي إلى بيت وأولاد ، والعجيب أن ذلك السلاح لا تجد من تستخدمه معه إلا الزوج ، مع أنها لما حملته كان العهد أن تستخدمه مع كل أحد إلا الزوج ، فلم ير الزوج في المسلَّحة إلا شقاء وتعاسة ، حتى ولو لم تعمل به ؛ لأنها تبقى تمن عليه أن رضيت به ووضعت السلاح ، وما أشقى الحياة مع امرأة منانة أو أنانة[1] !!

٢- أن تتجمل وتتزين بصنوف من التغييرات لخلق الله من النمص والتفلج والوشم وتغيير خلق الله .

٣- بقيت فئة من الفتيات يرغبن في حياة طبيعية ، ولكن الكدح للحصول على السلاح يمنعهن ، فاتفقن سرًا مع بعض الشباب الجائع الجامح على الزواج سرًا ، وهو الخدن الذي حرمه الله في كتابه ، وسماه لهم جماعة من المغرضين بالزواج العرفي ، وهل العرف إلا ما تعارف عليه الناس واشتهر !! فكيف يكون عرفيًا وهو غير معروف ؟ وكيف يكون زواجًا وهو فعل مكتوم تواطأ أصحابه على الكتمان ، والويل كل الويل إذا وقع منه المقصد الأول ؛ فتكوّن في البطن جنين يتحرك ، ماذا تفعل ؟ أما هو فيمكنه التخلص كالرجل في بلاد الغرب فيهرب ، وأما هي أتمسكه على هون ، أو تدسه في التراب ، فهل هذا عرفي أم خدن وزنا وإجرام ؟!

٤- وأكثر الطوائف منهن اعتدالاً تلك التي تواعدت سرًا مع شاب أفصحت له بعبارات الحب والثناء ، وبادلها كلمات الشوق والإغراء ، وتواعدا على الزواج ، هي تظن أنها بذلك قد حجزت زوجًا وفازت بشاب من تلك العملة النادرة .

وأقول : إن كل زواج بني على سابق علاقة من ذلك فهو زواج شقي فاشل ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا .

فالتوبة تَجُب ما قبلها ، والله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل .

هذه لمحات وزفرات وكلمات نهمس بها في الآذان ، ولا حل لكل تلك الأزمات الطاحنات إلا الشرع الذي أكمله الله وأتمه ورضيه ، نلزمه ونعمل به .

والله من وراء القصد .

---

(١) المنانة : هي التي تكثر المن على زوجها بما قدمت له وبما تنازلت ، والأنانة : كثيرة الأنين والشكوى

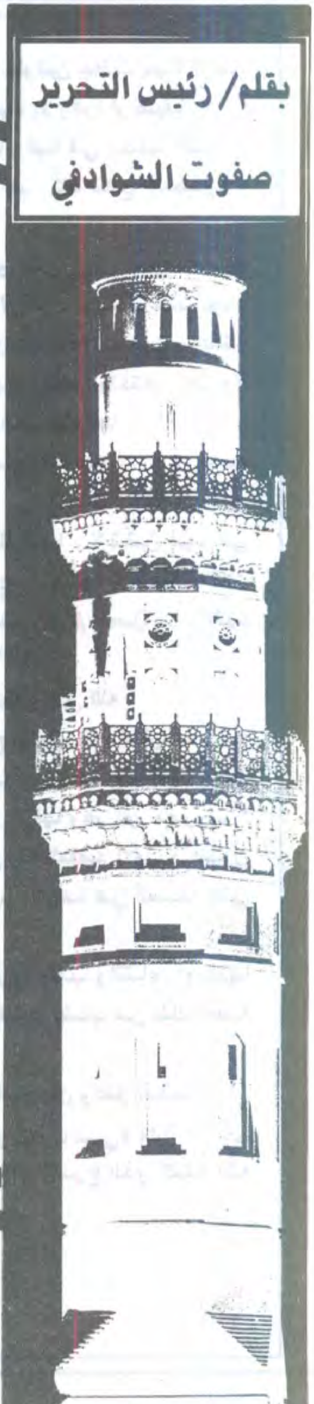

بقلم/ رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

قضايا..

* اليهود وفاقوس !!
* الحج .. وصلاح منتصر !!
* السيرة .. ومصطفى محمود !!

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :
فهناك العديد من القضايا المعاصرة التي تحدثت عنها وسائل الإعلام ، ورغب كثير من القراء في أن تكتب « التوحيد » عنها ؛ لبيان وجه الحق فيها ، وإزالة الغموض المتعلق بها ، وهذا بيانها :

اليهود وفاقوس :

قام اليهود في هولندا بعمل غسيل مخ لرجل أعمال مصري مقيم بينهم ، وعاد الرجل إلى القاهرة ، وقد أصبح يفكر بعقل أعدائه !

ونشرت صحيفة « السياسي المصري » أنه تقدم بطلب تحويل من البنك الأهلي لإقامة مشروع استثماري ضخم في فاقوس بمحافظة الشرقية ، هو « إقامة مولد يهودي يجتمع فيه اليهود من شتى بقاع الأرض على مساحة مائة فدان احتفالاً بمولد نبي الله ورسوله موسى عليه السلام » !!

وقام المستثمر بعمل دراسة جدوى تبين أن مشروع المولد اليهودي من المشروعات العملاقة التي تدر عائدًا كبيرًا على هذا الشيخ المستثمر !!

وتتزاحم التساؤلات : لماذا اليهود ؟ ولماذا فاقوس ؟ وما علاقة هذا بمولد (أبو حصيرة) الولي اليهودي في دمنهور ، الذي يتوافد اليهود إلى مولده في كل عام ؟ ومن المعلوم أن الموالد بدعة صوفية ، فلماذا أصبحت يهودية ؟ وهل هناك علاقة خفية بين اليهودية والصوفية ؟!

وبقيت عشرات الأسئلة التي يمكن أن يقف أمامها القراء ، ولا يتسع المقال لذكرها ، ونكتفي - هنا - ببعض الإشارات :

فاقوس بوابة مصر الشرقية ، ودمنهور موقع مناسب للوصول إلى وادي النطرون ، ومنه إلى البحر المتوسط عبر الطرق الجديدة في وسط الصحراء ، وما يعقلها إلا العالمون ، والصوفية التي ابتدعت الموالد هي المسئوله عن دخول اليهود بأعداد وافرة إلى مصر عن طريق الموالد ، وهذا من شؤم البدعة !!

معاصرة

إن جماهير المسلمين تطالب بإنشاء مكتب إعلامي من علماء الأزهر متفرغ للمتابعة والرد على كل الشبهات والتساؤلات التي تطرحها وسائل الإعلام، حتى لا يتأثر بها ضعاف الإيمان وضعاف الثقافة الدينية والعلم الشرعي!!

وخلاصة القول : أن اليهود بالأمس قد اشتروا أرضًا في فلسطين ، ثم ادعوا حقًّا تاريخيًا لهم في فلسطين ما زلنا نعاني من آثاره إلى اليوم ، وغدًا يزعمون أن لهم حقًّا تاريخيًا في أرض مصر ، مرورًا بفاقوس ، ووصولاً إلى دمنهور ، والله من ورائهم محيط .

*** الحج .. وصلاح منتصر !!**

نشر صلاح منتصر في عموده الطويل بالأهرام على لسان غيره اقتراحًا بأن لا ينحصر الحج في أيام المناسك المعلومة من التروية إلى آخر أيام التشريق (٨- ١٣ ذو الحجة) ، وأنه ينبغي التيسير على الناس ، وحل مشكلة الزحام ، خصوصًا أن الحج أشهر وليس أيام ، وكذلك الوقوف بعرفة لا ينحصر فقط - عند صاحب الاقتراح - في يوم عرفة !!

ويزعم القائل ومن ورائه الناشر أنه لا يوجد دليل في الكتاب والسنة على هذا التحديد والتقييد الذي يفعله الناس !!

وأقول : إن رد هذه الشبهات يأتي من وجوه عديدة ، منها :

١- لا ندري ما هو السر الدفين الذي يدفع بعض رجال الصحافة كصلاح منتصر إلى نشر التشكيك في مسائل من الدين قبل عرضه على علماء الأزهر ؟! وإذا كنتم تزعمون أنكم لا تجدون دليلاً في الكتاب والسنة على تحديد أيام الحج ؛ فإنكم تجدون في القرآن دليلاً واضحًا على وجوب سؤال العلماء وليس استفتاء القراء على صفحات الأهرام ! وأخشى أن تزعم أنك ترسل السؤال إلى لجنة الفتوى بالأزهر بهذه الطريقة الدائرية !!

٢- هذا الكاتب - غفر الله له - لا يعرف كثيرًا من النصوص التي وردت عن الحج ، ولذلك سارع إلى القول بعدم وجود نصوص من الكتاب والسنة تبين أيام الحج ، وفي السنة الصحيحة نصوص كثيرة ، منها على سبيل المثال :

ما رواه البخاري في « صحيحه » بسنده إلى عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : « خرجنا مع رسول الله ﷺ في أشهر الحج وليالي الحج وحُرُم الحج .. » إلخ الحديث .

وموضع الشاهد قولها : « وليالي الحج » ؛ وهذا يدل على أنها علمت وتعلمت أن الحج له ليالٍ معلومة لا يصح في غيرها .

وأصرح من هذا وأوضح ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» أن رسول الله ﷺ قال : «أقيموا حلالاً حتى إذا كان يوم التروية فأهلوا بالحج» .

ومعنى الحديث : من حل إحرامه بعد العمرة فإنه يقيم حلالاً ؛ يعني بغير إحرام إلى أن يأتي يوم التروية ، وهو يوم الثامن من ذي الحجة بغير خلاف ، فيحرم ويهل ؛ أي يلبي بالحج .

٣- ذكر الكاتب دليلاً على تحديد أيام الحج في عموده الطويل ، ثم أنكره دون أن يشعر !! فقد بين أن حج رسول الله ﷺ كان من ٤ إلى ١٠ ذي الحجة سنة ١٠ هـ .

فلماذا جلس رسول الله ﷺ وجميع الصحابة من يوم ٤ ذي الحجة إلى صباح يوم ٨ ذي الحجة في مكة ، ثم انطلقوا إلى منى ؟ لماذا لم يذهبوا إلى منى يوم ٥ أو ٦ أو ٧ ، أليس في هذا دليلاً قاطعاً على تحديد أيام الحج ؟!

٤- يقول الكاتب : إن رسول الله ﷺ قال : «الحج عرفة» . ولم يقل : إن عرفة يوم ٩ ذي الحجة !!

وهو كلام يحمل على الضحك والاستخفاف بقائله .

فماذا تقول في الأحاديث الصحيحة التي جاءت في فضل يوم عرفة إذا لم يكن يوماً معلوماً ؟ وماذا تقول في الأحاديث الصحيحة التي رغبت في صيام يوم عرفة ؟ وأي يوم يختاره الناس للدعاء والصوم ؟!

٥- نهى رسول الله ﷺ الحائض والنفساء عن الطواف بالبيت ، وقال لعائشة ، رضي الله عنها : «افعلي ما يفعله الحاج ، غير أن لا تطوفي بالبيت» . وهذا معلوم .

فلماذا لم يأمر المرأة أن تنتظر حتى تطهر ، ثم تحرم بالحج ما دامت أيام الحج غير معلومة ؟! بدلاً من تكليف المرأة الحائض بكل أعمال الحج عدا الطواف !!

أليس ذلك دليلاً آخر على أن أيام الحج ومناسكه معلومة !!

٦- وأخيرًا : عدد مرات وسنوات الحج التي وقعت منذ فرضه إلى الآن أكثر من ١٤٠٠ حجة ، وقد حج الصحابة بعد الرسول ﷺ ، وحج التابعون والعلماء والأئمة الأربعة والملوك والرؤساء والأمراء والرجال والنساء ، وأجمعت الأمة على أداء الحج في أيامه المعلومة ومناسكه الثابتة ، أفلا يوجد من بين هؤلاء عالم واحد ، أو حتى مفكر عاقل يصل إلى ما وصلت إليه ، حتى تستخف بالصحابة والعلماء وتقول في عمودك : إن المسلمين قد دأبوا على إنجاز الحج في الفترة التي أنجز فيها الرسول ﷺ حجته الوحيدة !!

وهب أن ذلك كذلك : ألم يقل الرسول ﷺ للأمة في الحديث الصحيح : «خذوا عني مناسككم ، فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا» ؟ فبماذا تفسر هذا الأمر النبوي الذي يطابق قوله ﷺ : «صلوا كما رأيتموني أصلي» .

لا ندري ما هو السر الدفين الذي يدفع بعض رجال الصحافة كصلاح منتصر إلى نشر التشكيك في مسائل من الدين قبل عرضه على علماء الأزهر ؟!

يا أستاذ صلاح منتصر :

أنت بحاجة إلى أن تخصص وقتًا ثابتًا للبحث والقراءة في كتب العلوم الشرعية للوقوف على ثوابت الشريعة ، بدلاً من محاولة خرق إجماع الأمة ، وعندها فقط سيسمع الناس قولك ، ويحترمون رأيك ، ولو كان مجرد رأي !!

❋ السيرة .. ومصطفى محمود :

الدكتور مصطفى محمود يبذل محاولات كثيرة لشد الأنظار إليه واجتماع الناس عليه ، ويمضي أكثر أوقاته في الخيال هروبًا من الحقيقة ! ويعتز بعقله اعتزازًا عظيمًا يجعله يرفض عقول الآخرين ...

ويحب الابتكار ، ولو كان في مسائل الدين !!

ويعشق الفلسفة والمنطق ، وله دور رائد في تسلية الجماهير ببرامجه العلمية الباهرة .

وهو لا يعد نفسه من علماء الشريعة ، وإن كان بعض المعجبين به يراه عالمًا في كل شيء .

ولأنه يعشق المنطق ؛ فهو يستعمل كثيرًا من نظرية المقدمات والنتائج التي تبهره دائمًا ، وإن كانت باطلة !!

وآخر ما وصل إليه الدكتور مصطفى ؛ هو أن السيرة والسنة مشكوك فيهما !! وقد أنكر الشفاعة بناءً على ذلك ، مخالفًا بذلك عقيدة أهل السنة ، وموافقًا عقيدة المعتزلة وغيرها من الفرق الضالة !!

يقول : السيرة - كالبخاري - مشكوك فيها ، والدليل عنده على ذلك أن الرسول ﷺ وجد بعض الصحابة يكتبون الأحاديث فنهاهم ، وأمر بجمع وإحراق ما كتبوه .

ولسنا بحاجة إلى رد مستفيض ، فلذلك كتب متخصصة ، ولكننا نسأل الدكتور مصطفى محمود سؤالاً واحدًا :

س : من أين علمت أن الرسول ﷺ نهى عن كتابة الأحاديث ، وأمر بجمع وإحراق ما كتب منها ؟

ج : من السنة .

س : ولكنك تقول : السنة مشكوك فيها ، فكيف تستدل بها وأنت تشك فيها ؟ أو كيف تستثني منها بعضًا فتقبله وترد بعضًا وترفضه ؟

وما هي المعايير العلمية التي تستند إليها في قبول السنة ورفضها ؟

ج : ......

❋ شيخ الأزهر .. والمكتب الاستشاري !!

فضيلة الإمام الأكبر .. شيخ الأزهر :

إن جماهير المسلمين تطالب بإنشاء مكتب إعلامي من علماء الأزهر متفرغ للمتابعة والرد على كل الشبهات والتساؤلات التي تطرحها وسائل الإعلام ، حتى لا يتأثر بها ضعاف الإيمان وضعاف الثقافة الدينية والعلم الشرعي . والله يقول الحق ... وهو يهدي السبيل .

الدكتور مصطفى محمود يبذل محاولات كثيرة لشد الأنظار إليه واجتماع الناس عليه ، ويمضي أكثر أوقاته في الخيال هروبًا من الحقيقة ! ويعتز بعقله اعتزازًا عظيمًا يجعله يرفض عقول الآخرين !!

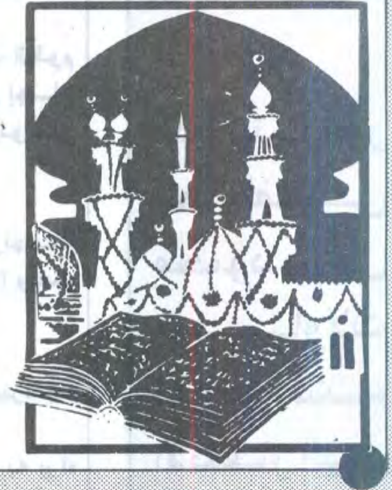

أهوال يوم القيامة

بقلم الدكتور : **عبد العظيم بدوي**

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ [ق : ٢٠] .

جعل اللَّه سبحانه وتعالى للساعة أمارات تدل على قربها ، فقال تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد : ١٨] ، ماذا ينتظر الناس ؟ ماذا ينتظر الكفرة الفجرة ؟ ماذا ينتظر العصاة الفسقة ؟ ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ ، أي فجأة ، ﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ ؛ أي ظهرت علامات قربها ، فهلا يتوبون إلى اللَّه ويستغفرونه ؟!

والناظر في النصوص التي تحدثت عن أشراط الساعة يجد أنه لم يبق منها إلا العلامات الكبرى ، التي هي كحبات الخرز ، إذا انفرطت واحدة منها انفرطت كلها ، حتى إذا كانت آخر علامة ، وهي أن يبعث اللَّه ريحًا طيبة باردة تقبض روح كل عبد مؤمن ، حتى لو دخل أحدهم جحر ضب لتبعته هذه الريح حتى تقبضه ، ويبقى في الأرض شرار أهلها وعليهم تقوم الساعة ، كما قال النبي ﷺ : ((لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس)) . [أخرجه مسلم] .

يبقى شرار الخلق ، لا يعرفون معروفًا ، ولا ينكرون منكرًا ، فيمتثل لهم الشيطان فيقول : ألا تسمعون ؟ فيقولون : ما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الطواغيت والأصنام فيستجيبون له ، فبينا هم كذلك ، إذ أذن اللَّه لإسرافيل بالنفخ في الصور ، وهو خلق عظيم ، مثل البوق ، وقد جاء ذكره في القرآن مرات ؛ منها هذه الآية : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ ، ومنها : ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ [الأنعام : ٧٣] ، ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠١] ، ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [النمل : ٨٧] ، ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر : ٦٨] .

وقد بين النبي ﷺ أن إسرافيل قد استعد للنفخ ، فهو ينتظر الإذن . قال ﷺ : ((كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ، واستمع الإذن ، متى يؤمر بالنفخ فينفخ)) ، فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، فقال لهم : ((قولوا : حسبنا اللَّه ونعم الوكيل)) .

❑ الناظر في النصوص التي تحدثت عن أشراط الساعة يجد أنه لم يبق منها إلا العلامات الكبرى، التي هي كحبات الخرز، إذا انفرطت واحدة منها انفرطت كلها، حتى إذا كانت آخر علامة، وهي أن يبعث الله ريحًا طيبة باردة تقبض روح كل عبد مؤمن، حتى لو دخل أحدهم جحر ضب لتبعته هذه الريح حتى تقبضه، ويبقى في الأرض شرار أهلها وعليهم تقوم الساعة !!

ومعلوم عند الرياضيين وغيرهم أنه ليس بين الاستعداد وبين التنفيذ طويل وقت، ما إن يقال: استعد، حتى يصدر الأمر بالعمل؛ أي أنه: ﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ ﴾ [النجم : ٥٧]، و﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ [القمر : ١]، و﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [النحل : ١]، ولذلك قال ﷺ: ((كيف أنعم)) ؛ أي كيف يطيب لي عيش وقد اقتربت الساعة! والنفخ مرتان: نفخة الإماتة، ونفخة الإحياء. فأما النفخة الأولى فيحدث بها تغير عجيب في السماوات والأرض، قال ﷺ: ((من سره أن يرى القيامة رأي العين، فليقرأ: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾، و﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾، و﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾)). فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى انفطرت السماء، وتناثرت النجوم، وسيرت الجبال، ونزلت الوحوش من الغابات، وظهرت الجن، وماجوا جميعًا بعضهم في بعض، فقالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فتفرقوا يمينًا وشمالاً، فإذا الملائكة على أطراف السماء تدفعهم وتردهم، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۞ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۞ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ﴾ [الحاقة : ١٣- ١٧]، يدفعون الشارد ويردون الهارب، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۞ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾ [القيامة : ٧- ١٠]، أين المفر والإله الطالب؟ ﴿ كَلاَّ لا وَزَرَ ۞ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة : ١١، ١٢]، ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [المزمل : ١٧]، من هوله، من مخاوفه، من الأهوال التي تصحبه، يومئذ: ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ [الحج : ٢]. أليس من المعلوم أن الحامل إذا روعت وضعت، فبالله عليكم ماذا تصنع هذه المسكينة حين ترى السماء انفطرت، والكواكب انتثرت، والبحار سجرت؛ أي أوقدت نارًا تأجج، هل يمسك رحمها حملاً مع هذه الأهوال ؟!

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ۞ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ [إبراهيم : ٤٢، ٤٣]؛ أي رافعي رءوسهم ينظرون إلى الأعلى: ﴿ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤٣]، لا يغمض أحد عينًا، يخاف إن أغمض عينه لحظة أن ينزل به العذاب: ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [إبراهيم : ٤٣]. خلت محال القلوب منها، فأين ذهبت قلوبهم ؟! ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ﴾ [غافر: ١٨].

ينفخ إسرافيل هذه النفخة وقد بسط الرجلان الثوب بينهما يتبايعانه فلا يتبايعانه، وقد رفع الرجل الكأس إلى فيه ليشرب فلا يبل الكأس فاه، وتحدث هذه الأهوال التي أحدثت هذا الانقلاب في نظام الكون، وتطول هذه النفخة

حتى يخر الناس جميعًا ميتين موتة رجل واحد : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ❁ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦، ٢٧] ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] ، ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزمر : ٦٨] ، قال العلماء : هذا الاستثناء راجع إلى نفر من الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وملك الموت الذي يسميه العوام عزرائيل ، وليس لهذه التسمية أي أثارة من علم ، لا يموت هؤلاء بالنفخة ، ولكنهم يموتون بعد ذلك : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ، وينادي الرب سبحانه : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ ، وليس هناك أحد يجيب ، فيقول تعالى : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ ، يقول النبي ﷺ : ((يطوي الله عز وجل السماوات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يأخذ الأرض بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟)) . [رواه مسلم] .

ثم يمهل الله عباده أربعين ، لا ندري أربعين سنة ، أم شهرًا ، أم يومًا ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : ((ما بين النفختين أربعون)) . قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون سنة ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون يومًا ؟ قال : أبيت ، ثم ينزل من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل ، وليس من الإنسان شيء إلا بلي ، إلا عظم واحد ، وهو عجب الذنب ، منه يركب الخلق ، يوم القيامة . [متفق عليه] .

إذا مات الإنسان تحلل جسده وصار ترابًا ، وتفرقت ذراته ، إلا الأنبياء ، كما قال ﷺ : ((إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)) . [صحيح أبي داود : (٩٢٥)] .

ولا يبقى من الإنسان إلا عجب الذنب ، وهو عظم الصلب المستدير ، الذي يكون في أصل العجز ، وأصل الذنب ، منه خلقت يا ابن آدم ، ومنه يركب جسمك يوم القيامة ، فهو كالبذرة ، إذا نزل الماء من السماء ، أخذت هذه البذور في النمو ، كبذرة القمح والشعير ونحوهما ، فتكبر وتكبر حتى تكون أجسادًا كاملة تحت الأرض كساعة أن دفنت ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ❁ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح : ١٧، ١٨] ، وسبق في مطلع السورة قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ❁ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ❁ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [ق : ٩-١١] ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الزخرف : ١١] .

فإذا تكاملت الأجساد تحت الأرض ، وأراد الله أن تخرج هذه الأجساد من الأرض ، أحيا إسرافيل ، وأمره أن ينفخ النفخة الثانية ، نفخة الإحياء ، فتطاير الأرواح ، فتدخل كل روح جسدها ، لا تخطئ روح جسدها ، فلا يروعهم إلا انشقاق الأرض عنهم ، فإذا هم على ظهرها بعدما كانوا في بطنها ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ❁ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ❁ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الانشقاق : ٣- ٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ❁ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزلة : ١، ٢] ، قال النبي ﷺ : ((أنا أول من تنشق عنه الأرض)) . [الترمذي] .

كيف يخرج الناس من قبورهم ؟ صور الله لنا هذا المشهد تصويرًا رائعًا فقال : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ❁ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ❁ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [المعارج : ٤٢- ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ❁ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ❁ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ❁ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [ق : ٤١- ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ ❁ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ❁ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر : ٦- ٨] ، فإذا خرج الناس من قبورهم تلقت الملائكة الصالحين ومعهم ركائب من الجنة ، فقدمتها لهم ليركبوها ، وهذا هو قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ [مريم : ٨٥] ؛ أي ركبانًا ، كما تتلقاهم بالبشرى : ﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠] ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا ﴾ - أي عن النار - ﴿ مُبْعَدُونَ ❁ لَا

يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۞ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١ - ١٠٣] . هذا حال السعداء حين يخرجون من قبورهم ، نسأل الله أن يجعلنا منهم بفضله وكرمه ، أما الأشقياء فقد قال تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم : ٨٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء : ٩٧] . قيل : يا رسول الله ، كيف يحشرون على وجوههم ؟ فقال : ((أليس الذي أمشاهم على أرجلهم في الدنيا بقادر على أن يمشيهم على وجوههم في الآخرة)) . [متفق عليه] .

وهكذا يصلون جميعًا إلى أرض المحشر ، ويقفون في صعيد واحد ، حفاة ، عراة ، غرلاً ، قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى سوأة بعض ؟ فقال : ((يا عائشة ، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض : ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾)) . [متفق عليه ، دون الآية ، فهي زيادة للنسائي] .

أحيانًا ونحن في الدنيا يلقى الواحد منا أخاه في الطريق فيسلم عليه ، فلا يرد عليه السلام ، فإذا اجتمعا بعد ذلك وعاتبه ، اعتذر بأنه لم يره ، فيقول له : كان وجهي في وجهك ، وعيني في عينك ! فيقسم بالله أنه لم يره ، وهو صادق ؛ لأنه كان مشغول الفكر ، كان يمشي وهو يفكر في أمر ما ، فشغله التفكير فيه عن رؤية ما أمامه ، فإذا كان هذا يحدث في الدنيا ، وهمومها لا تساوي جناح بعوضة من هم اليوم الآخر ، فلا بأس أن يكون الرجال والنساء في اليوم الآخر عراة ؛ لأنه لن يتمكن أحد أن ينظر ما أمامه ، بل لن يتمكن أن يشعر بمن في جواره ، لما نزل به من الهم الذي ملأ كيانه : ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس : ٣٧] .

تقفون يا عباد الله في صعيد واحد ، حفاة ، عراة ، غرلاً ، وتدنو الشمس من رءوسكم ، حتى لا يكون بينها وبينكم إلا ميل ، قال الراوي : لا أدري : ميل المسافة ، أم ميل المكحلة . [مسلم] .

ترى كم ستكون درجة الحرارة يومئذ ! وليس هذا فحسب ، بل : ((يؤتى يومئذ بجهنم ، لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)) . [مسلم] .

فالله المستعان على هذا اليوم ، وعلى أيامنا كلها ، زحام شديد ، حتى علا القدم ألف قدم ، الشمس فوق الرءوس ، جهنم قريبة ، حتى يذهب العرق في الأرض سبعين ذراعًا ، حتى يتمنى بعض الناس الخروج من هذا الموقف ولو إلى النار ! يظنون أن النار لن تكون مثل ما هم فيه ، فاللهم سلم سلم .

يخرج الناس من قبورهم أشد ما يكونون جوعًا وظمأ ، فيغيث الله المؤمنين ، فيطعمهم ويسقيهم وهم في أرض الموقف ، أما الطعام فقد قال ﷺ : ((تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ، يتكفؤها الجبار بيده ، كما يتكفؤ أحدكم خبزته في السفر ، نزلاً لأهل الجنة)) . [متفق عليه] .

وأما الشراب فمن حوض النبي ﷺ ، وهو حوض أكرم الله به نبيه غياثًا لأمته ، قال ﷺ : ((حوضي مثل ما بين عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشد بياضًا من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا)) . [حسن : الترمذي] .

وقال ﷺ : ((أنا فرطكم على الحوض)) ، والفرط الذي يتقدم القوم ليصلح لهم الحوض . ((وليرفعن إليّ رجال منكم ، حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني ، فأقول : أي رب أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)) . [متفق عليه] .

فيا عبد الله إذا أردت أن تشرب من هذا الحوض شربة هنيئة مريئة ، لا تظمأ بعدها أبدًا ، فلا تحدثن في دين الله شيئًا ، ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة)) . [صحيح أبي داود : (٣٨٥١)] .

وكيف يعرف رسول الله ﷺ أمته بين الأمم ، قال ﷺ : ((لكم سيما ليست لأحد غيركم ، تردون غرًا محجلين من آثار الوضوء)) . [مسلم] .

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى ، وصفاتك العلى ، أن نرد حوض نبينا ﷺ ، وأن نشرب منه شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا .

الشفاعة

الحلقة الأخيرة

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

قال تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلاَ يَعْقِلُونَ ۞ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الزمر : ٤٣، ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ [يونس : ٣] .

فالشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض ، وله الشفاعة وحده ، قدرها ليرحم عباده ، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيمن يشاء ، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له ، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه وأمره سبحانه ، ولا يشفع إلا لمن أذن بالشفاعة له ، فهذه هي الشفاعة الحقة ، وهي ضد الشفاعة الشركية التي أبطلها رب العالمين ، وتعلق بها المشركون : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة : ١٢٣] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٤] .

فالشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه : ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ ﴾ [السجدة : ٤] .

فشفاعة الشريك ، أو المالك ، أو الظهير أبطلها الله سبحانه ، والشفاعة المثبتة شفاعة العبد المأمور المطيع لسيده ، فلا يتقدم بين يدي سيده بشفاعة حتى يأذن له سيده ومولاه ويرضى منه الشفاعة ، ولذا كانت ألفاظ حديث الشفاعة موضحة بقول النبي ﷺ : ((فأسجد عند العرش ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، فيلهمني ربي بمحامد لم يلهمها لأحد من قبلي ، ثم يقول : ارفع محمد ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعط ، فأرفع رأسي ، فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع)) .

فتدبر ذلك ، واعلم أنه لا يشفع نبي ، أو رسول ، ولا ملك ، أو مؤمن ، أو شهيد ، إلاَّ بعد أن يقال له : اشفع ، وعلى ذلك تحمل جميع النصوص الواردة في الشفاعة ، لكن المشركين يظنون شفاعة الآخرة كشفاعاتهم في الدنيا ، يشفع عنده وهو كاره للشفاعة ، فيرضخ لشفاعته ، ولو كارهًا ؛ لأنه ذو ملك أو سلطان أو صاحب منزلة يخشاها ، وكذلك شفاعة المؤمنين التي وردت في الحديث الطويل من قول النبي ﷺ لأصحابه : ((فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق ، قد تبين لكم مَن المؤمن يومئذ للجبار ، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون : ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا ، فيقول الله تعالى : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ، ويحرم الله صورهم على النار ، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه ، فيخرجون من عرفوا ، ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه ، فيخرجون من عرفوا ، ثم يعودون فيقول : اذهبوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون

من عرفوا ، فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبار : بقيت شفاعتي ، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا ، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له : ماء الحياة ، فينبتون في حافته كما تنبت الحبة في حميل السيل)) .

وفي ذلك يقول اللـه سبحانه : ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ ، ويقول : ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ ، فاللّه سبحانه علقها برضاه عن المشفوع له وإذنه للشافع ، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة ، وذلك لأن الأمر كله للّه ، وأن الرسل والملائكة والمؤمنين عبيد للّه لا يسبقونه بالقول ولا بالفعل إلا من بعد إذنه ، فهم مملوكون وهو ربهم ، وفي ذلك اليوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذ للّه .

أما الشفاعة التي يظنها المشركون في شركائهم ، حيث جهلوا حق الرب سبحانه وقاسوه على الخلق قياسًا فاسدًا عبدوا به الأصنام ، فظنوا شفاعة شركائهم عند اللّه من جنس شفاعة المخلوقين عند بعضهم ، فإن هؤلاء الخلق هم القائمون بمصالحهم وهم أعوانهم وأنصارهم ، ولولاهم لما ملكوا الناس ولا حكموا فيهم ، فحاجتهم إليهم تجعلهم يقبلون شفاعتهم ولو على كره منهم ، وإن لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع فلا يجدون بدًا من قبول شفاعتهم وإلا تركوا طاعتهم وقدموا غيرهم ، لكن اللّه غني عن الشريك والظهير والمعين ، ولو أهلكهم جميعًا ما نقص ملكه ولا عزه ولا سلطانه مثقال ذرة .

وشفاعة الخلق قد تكون شفاعة عند من يكره المشفوع له ، لكن له عند الشافع مصالح لا تقضى إلا أن يرضى ، فهو يرضيه ، وقد يكون عند المشفوع عنده من المعارض ما يجعله يقبل الشفاعة ويكون المعارض قويًا قوة ترد بها الشفاعة ، أو ضعيفًا فتقبل معه الشفاعة ، وليس شأن اللّه كذلك ، فليس له عند خلقه رغبة ولا رهبة ، بل كل الخلق تحت قبضته وفي ملكه وتصرفه ، فلو شاء جعل الخلق كلهم طائعين ، ولو شاء لم يخلق معصية ، وكذلك فإنه سبحانه إن لم يخلق شفاعة الشافع ولم يأذن له ويحبها منه ويرضى فلا تقع أبدًا ، وشفاعة الشافع وإن كانت علوًا لمنزلته إلا أنه امتثال لأمره وطاعة له ، وكل طاعة من العبد لربه رفعة . فشرف العبد في عبوديته لربه .

لماذا كانت الشفاعة العظمى لنبي هذه الأمة ؟

ينبغي لكل عبد مستقيم أن يؤمن بأن اللّه هو الحكم العدل ، وأنه لا يظلم أحدًا مثقال ذرة ، وليس عنده من فضل لأحد من خلقه إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وأما التفضيل للذات بغير تقوى أو عمل صالح ، فذلك هو الذي انحرفت به بنو إسرائيل فقالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة : ١٨] ، ففي سورة ((المائدة)) : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ

وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة : ١٨] .

ولذا فإن اللَّه ، عز وجل ، لم يفضل أمة لذاتها ، إنما فضل الأمة لعملها ، ولو فاقها غيرها في العمل لكان خيرًا منها ، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

قال ابن كثير : فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح ، كما قال قتادة : بلغنا أن عمر بن الخطاب ، رضي اللَّه عنه ، في حجة حجها رأى من الناس سرعة ، فقرأ هذه الآية : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ الآية . ثم قال : من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط اللَّه فيها . رواه ابن جرير .

ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم اللَّه بقوله تعالى : ﴿ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ الآية [المائدة : ٧٩] .

ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات ، شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم .

وفي « التفسير الكبير » : قال بعضهم : لو شاء اللَّه تعالى لقال : « أنتم » ، وكان هذا التشريف حاصلاً لكلنا ، ولكن قوله : ﴿ كُنتم ﴾ مخصوص بقوم معينين من أصحاب الرسول ﷺ ، وهم السابقون الأولون ومن صنع مثل ما صنعوا .

(وقال أيضًا) : ثم ذكر عقيب هذا الحكم هذه الطاعات ، أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان ، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات .

وكذلك هذه الأمة قامت بمهمة الرسل بعد رسولها ﷺ ، فكانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى الإيمان باللَّه تعالى ، وقد كانت قبلهم الأمم كلما قضى رسول بعث اللَّه نبيًّا ورسولاً ، كما أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، قال رسول اللَّه ﷺ : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وأنه لا نبي بعدي » . فقاموا بعمل الأنبياء ، حتى قالت الأمم - كما جاء في حديث الشفاعة الطويل عند أحمد -: « كادت هذه الأمة أن يكونوا أنبياء كلهم » .

ولذا قال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٤٠] ، فكل من اتصف بالكفر أو النفاق فهو في جهنم .

فهذه الأمة مفضلة لا بذاتها ، بل بأعمالها وصفاتها ، ولزومها أمر ربها ، واقتفائها أثر نبيها ، ودعوتها للناس ، وبذل حياتهم في ذلك ، فقام علماؤهم مقام أنبياء الأمم السابقة ، لذا وقع التفضيل لهم ، فكذلك الشفاعة العظمى والمقام المحمود للنبي ﷺ إنما استحقه تفضلاً من اللَّه ، ومنة لأعمال عملها ، رفعه اللَّه تعالى هذه المكانة لهذه الأعمال .

أولاً : كل نبي كان يُبعث إلى قومه خاصة ، وبعث النبي ﷺ للناس كافة ، بل بعث للإنس والجن عامة ، فكذلك له الشفاعة العامة كما كانت له الرسالة العامة .

ثانيًا : أتباع هذا النبي والداخلين الجنة منهم هم أكثر الأمم ؛ لحديث النبي ﷺ الذي أخرجه الشيخان من رواية ابن عباس ، رضي اللَّه عنهما ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « عرضت عليَّ الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتي ، فقيل

لي : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك)) .

ولما كان الدال على الخير كفاعله ، ومن سن سنة حسنة في الإسلام فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة كان ﷺ له هذه الأجور المضاعفة ، وكانت له المكانة العالية ((المقام المحمود)) .

ثالثًا : أن النبي ﷺ ادخر دعوته المستجابة لتكون يوم القيامة شفاعة ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأنس ، رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : ((لكل نبي دعوة مستجابة واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، وهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا)) .

قال ابن حجر : المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة ؛ القطع بها ، وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجاء الإجابة . وقيل : أفضل الدعوات ، وقيل : دعوة عامة مستجابة لأمته ، وتدبر أن دعوات النبي كانت على رجاء الإجابة لا على القطع بها ، فلقد دعا على أقوام بالإهلاك فقال له رب العزة سبحانه : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، وجاء في الحديث الصحيح : ((سألت ربي ثلاثًا فأعطاني اثنين ومنعني واحدة)) .

فكانت سائر الدعوات على رجاء الإجابة ، أما الدعوة المستجابة فادخرها النبي ﷺ شفاعة للأمة يوم القيامة .

الشفاعة الحقة وإنكار أهل الضلال :

أخرج مسلم في ((صحيحه)) في كتاب الإيمان ، باب : خروج عصاة المؤمنين من النار ، بسنده عن يزيد الفقير قال : كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج ، فخرجنا في عصابة ذوى عدد نريد أن نحج ، ثم نخرج[1] على الناس ، قال : فمررنا على المدينة ، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالسًا إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال : فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال : فقلت له : يا صاحب رسول الله ، ما هذا الذي تحدثون ، والله يقول : ﴿ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ [آل عمران : ١٩٢] ، و﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [الحج : ٢٢] ، فما هذا الذي تقولون ؟ قال : فقال : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم ، قال : فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعني الذي يبعثه الله فيه ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يُخرج الله به من يُخرج ، قال : ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه ، قال : وأخاف ألا أكون أحفظ ذلك ، غير أنه قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها ، قال : يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم[2] ، قال : فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه ، فيخرجون كأنهم القراطيس ، فرجعنا ، قلنا : ويحكم ، أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ، فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد .

قال ابن حجر في ((الفتح)) : إن الخوارج الطائفة المشهورة المبتدعة كانوا ينكرون الشفاعة ، وكان الصحابة ينكرون إنكارهم ويحدثون بما سمعوا من النبي ﷺ في ذلك .

(ثم ذكر) حديث البيهقي ، قال : ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة ، فقال رجل : إنكم لتحدثون بأحاديث لا نجد لها في القرآن أصلاً ، فغضب وذكر له ما معناه : إن الحديث يفسر القرآن .

ثم ذكر ابن حجر ، عن أنس قال : من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها .

---

(١) أي نخرج على الإمام علي بن أبي طالب ؛ لأن الخوارج استحلوا دماء المسلمين والخروج عليهم بالسيف .

(٢) قال ابن حجر : هو ما ينبت فيه السمسم .

(ثم ذكر) عن البيهقي عن ابن عباس : خطب عمر فقال : إنه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم ، ويكذبون بالدجال ، ويكذبون بعذاب القبر ، ويكذبون بالشفاعة ، ويكذبون بقوم يخرجون من النار .

(ثم ذكر) عن أنس قال : يخرج من النار ولا نكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء ؛ يعني الخوارج .

قال ابن بطال : أنكرت المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل النار من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٨] ، وغير ذلك من الآيات . وأجاب أهل السنة بأنها في الكفار ، وجاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة المحمدية متواترة ، ودل عليها قوله تعالى : ﴿ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، والجمهور على أن المراد به الشفاعة ، وبالغ الواحدي فنقل فيه الإجماع .

أنواع الشفاعة :

الأولى : الشفاعة في إراحة أهل الموقف بالإذن في الفصل والحساب ، ودليلها حديث الشفاعة الطويل المشهور الذي يتنحى فيه عن الشفاعة الأنبياء والمرسلون ، ثم يقول ﷺ : « أنا لها ، أنا لها » . ثم يشفع فيُشفع .

والثانية : في استفتاح الجنة ، وفيه حديث أبي هريرة الطويل الذي جاء فيه : « بك أمرنا أن نفتح » .

والثالثة : شفاعته لقوم استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة .

والرابعة : شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع لهم أن لا يدخلوها .

الخامسة : شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة مراتبهم ورفع درجاتهم .

السادسة : شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم فيخرجهم الله بشفاعته رحمة منه سبحانه ، ثم يدخلهم الجنة .

السابعة : شفاعته في أبي طالب أن يخفف الله عذابه في النار ، فيكون في ضحضاح النار ، بعد أن كان في غمرات النار .

الثامنة : شفاعته لمن قال : لا إله إلا الله ، ولم يعمل خيرًا قط ، وهذه لمن قالها خالصة من قلبه ، وهي التي يقول له رب العزة سبحانه فيها : « ليس ذلك إليك » ، ويخرجهم رب العزة برحمته فيدخلهم الجنة .

وشفاعة النبي ﷺ لأبي طالب ثابتة بالأحاديث الصحيحة وهي شفاعة لكافر لم تخرجه من النار ، ولذا قال ابن حجر في « الفتح » : الشفاعة في الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق في أنه لا يشفع فيهم أحد وهو عام في حق كل كافر فيجوز أن يخص منه من ثبت الخبر بتخصيصه . قال : وحمله بعض أهل النظر على أن جزاء الكفار من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه ، فيجوز أن الله يضع عن بعض الكفار بعض جزاء معاصيه تطييبًا لقلب الشافع لا ثوابًا للكافر ؛ لأن حسناته صارت بموته على الكافر هباءً ، ثم قال : إن المخفف عنه - يعني أبا طالب - لم يجد أثر التخفيف ، فهو يعتقد أن ليس في النار أشد عذابًا منه ، وذلك أن القليل من عذاب جهنم لا تطيقه الجبال ، فالمعذب لاشتغاله بما هو فيه يصدق عليه أنه لم يحصل له انتفاع بالتخفيف . (انتهى مختصرًا) .

وحب النبي ﷺ من أجلّ القربات إلى الله وسبب لرفع درجات العبد في الجنة بشرط أن يكون مقرونًا بالتوحيد ، فإن المشرك لا ينفعه حب النبي ﷺ ، ولذا لم يخرج أبو طالب من النار رغم فرط حبه للنبي ﷺ ، بل مات كثير من المشركين في مكة وهم يحبون النبي ﷺ ويحبون صدقه وأمانته ، ومع ذلك لم ينفعهم ذلك الحب ، ولا تنالهم الشفاعة ، والحديث الصحيح في ذلك واضح : « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه » .

أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : ((إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض ، فيأتون آدم فيقولون : اشفع لذريتك ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم ، فإنه خليل اللّه ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بموسى ، فإنه كليم اللّه فيؤتى موسى فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بعيسى ، فإنه روح اللّه وكلمته ، فيؤتى عيسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد ، فأوتى فأقول : أنا لها ، ثم أنطلق فأستأذن على ربي ، فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن اللّه يلهمنيها ، ثم أخر لربنا ساجدًا ، فيقول : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ، أمتي ، أمتي . فيقول : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدًا ، فيقول لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ، أمتي ، أمتي . فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدًا فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ، أمتي ، أمتي . فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل)) .

زاد أبو سعيد ، رضي اللّه عنه : ((ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدًا ، فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ، ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا اللّه ، قال : فليس ذلك لك ، أو قال : ليس ذلك إليك ، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا اللّه)) .

وفي رواية أخرى : أن كل نبي يذكر خطيئة إلا عيسى ، وأن آدم أحال على نوح . وفي رواية قال : ((ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن - أي وجب عليه الخلود)) . ثم تلا هذه الآية : ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ . قال : ((وهذا المقام المحمود الذي وعد نبيكم . زاد في رواية فقال : ((يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة)) .

(ثم قال) : ((ما يزن برة)) . (ثم قال) : ((ما يزن ذرة)) . وفي رواية أبي هريرة : ((أن كل نبي يقول : إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله)) . (ثم يقول) : ((نفسي نفسي نفسي)) . (وجاء فيها) : ((أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب)) . ثم قال : ((والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر)) ، أو ((كما بين مكة وبصرى)) .

وأخرج مسلم عن حذيفة وأبي هريرة ، رضي اللّه عنهما ، قالا : قال رسول اللّه ﷺ : ((يجمع اللّه تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا ، استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ؟ لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل اللّه ، قال : فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذلك ، إنما كنت خليلاً من وراء وراء ، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه اللّه تكليمًا ، قال : فيأتون موسى ، فيقول : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى عيسى كلمة اللّه وروحه ، فيقول عيسى : لست بصاحب ذلك ، فيأتون محمدًا ﷺ فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً فيمر أولكم

كالبرق)) . قال : قلت : بأبي وأمي ، أي شيء كمر البرق ، قال : ((ألم تروا إلى البرق وكيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ، ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم ، حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا ، قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة ، بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ومكدوس في النار)) .

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس ، رضي اللَّه عنه ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : ((يقول اللَّه تعالى لأهون أهل النار عذابًا : لو كانت لك الدنيا كلها وما فيها أكنت مفتديًا بها ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم ؛ أن لا تُشرك بي ولا أدخلك النار ، وأدخلك الجنة ، فأبيت إلا الشرك)) .

من يستعرض الحديث الطويل الذي روته كتب السنة في الشفاعة يلاحظ أن في الحديث اختصارًا ، ذلك أنه بدأ الحديث بذكر ما أصاب الناس من شدة يوم القيامة ، وأنهم ألهموا أن يطلبوا الشافع الذي يشفع لهم للنظر في الأعمال ، والفصل في القضاء لينصرفوا من الموقف من شدة ما يلقون فيه ، ثم يطلبون من آدم، ثم من نوح ، ثم من إبراهيم ، ثم من موسى ، ثم من عيسى ، عليهم السلام جميعًا ، فيأبى كل واحد منهم ويستحي من ربه ولا يتعرض للشفاعة ويحيل على غيره ، ثم يذهبون إلى محمد ﷺ ، الذي يستأذن على ربه ويسجد فيشفع .

بعد ذلك السياق يقال له : ((يا محمد ، ارفع رأسك ، واشفع تشفع ، وقل يسمع لك ، وسل تُعط ، فيقول : أمتي ، أمتي . فيقال له : أخرج من النار من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه مثقال حبة بر من خير)) .

فانظر كيف كان أول الحديث طلب الشفاعة للإذن في الفصل والحساب ، ثم يقول النبي ﷺ : ((أنا لها ، أنا لها)) . ثم إذا أذن له في الشفاعة يقول : ((أمتي ، أمتي)) . ويقال له : ((أخرج من النار ..)) . وهذا يدل على أمور :

الأول : أن الشفاعة في القضاء قد تمت ، وأن اللَّه قد حاسب الخلائق ووزن عليهم الأعمال .

ثانيًا : أن أهل الجنة قد دخلوا الجنة ، وأن أهل النار قد دخلوا النار ، وفي ذلك أيضًا استفتاح الجنة بشفاعة النبي ﷺ .

ثالثًا : إذا كانت شفاعة النبي ﷺ تبدأ في عصاة الموحدين بإخراج أصحاب البرة من الخير ، ثم الشعيرة ، ثم الخردلة ، أو الذرة ، فالذي يُفهم من ذلك أن أصحاب الدينار والدرهم ومن فوق البرة قد أخرجوا من النار ، وذلك أنهم يخرجون بشفاعات من المؤمنين والأنبياء والملائكة .

فكأن هذه الشفاعات تقع بين الشفاعة للإذن في الفصل في القضاء وبين الشفاعة لإخراج عصاة الموحدين من هذه الأُمة من النار .

معنى هذا أن النبي ﷺ هو أول الشافعين ، وهو آخر الخلق شفاعة ، فله شفاعات متعددة يشفع فيها أولاً للخلائق ، فيأذن رب العزة فيفصل بينهم ، ثم يشفع فتفتح أبواب الجنة ، ثم يشفع فيعفى عن أقوام فيدخلون الجنة بغير سابقة عذاب ، وفيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم فيدخلون الجنة ، وفي أقوام سحبوا إلى النار فيعفو عنهم ويدخلهم اللَّه الجنة .

فكانت المنزلة الرفيعة للنبي ﷺ أن تقدم للشفاعة ، حيث تأخر غيره من الأنبياء ، وكذلك فيمن يخرجه اللَّه سبحانه بشفاعته من النار ممن لم يقدر خروجه بشفاعة غيره ، فإن كانت شفاعة غيره أخرج اللَّه بها أهل الدينار ونصف الدينار ، فإن شفاعة سيد الشفعاء يخرج اللَّه تعالى بها أهل البرة والشعيرة والخردلة والذرة من الخير .

وفي ذلك نلاحظ أيضًا :

١- أن الشفاعة إنما هي منازل للشافعين ، فيأذن اللَّه سبحانه للشافعين بحسب منازلهم عنده ، حتى يعلي اللَّه ذكرهم ويرفع مقامهم أمام الخلائق

يوم القيامة .

٢- أن البقاء في النار لمن دخلوها إنما هو عذاب ، وعذاب النار لا يطاق ، فيبقى أصحاب الدينار في النار ما شاء الله لهم أن يبقوا ، ثم يلهم الله سبحانه المؤمنين فيشفعوا فيهم ، ويذكرهم بأصحابهم ممن كانوا معهم في صالح الأعمال من الصلاة والزكاة والصيام والمساجد والخيرات ، ثم يقبل الله شفاعتهم فيهم ، ويأمرهم : أخرجوا منها من عرفتم ممن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان ، ويبقى من هو دون الدينار يعذب في النار ، ثم يشفع المؤمنون عند ربهم في إخوانهم فيأذن الله تعالى أن يخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال نصف دينار من الخير ، ويبقى من هو دون النصف دينار في النار يعذب حتى يأذن للنبي ﷺ فيشفع عند ربه ، فيأذن له في أصحاب البرة ويبقى من دون البرة في النار ، ثم يشفع ، وكل شفاعة يدع الله سبحانه الشافع ما شاء أن يدعه ، وهؤلاء في النار يعذبون ، ثم يأذن الله عز وجل فيخرج أصحاب الشعيرة ، ويبقى من دون الشعيرة في النار يعذب .. وهكذا حتى يقال له : « أخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان » . أو قال : « من خير » .

٣- نفهم من هذا أن عذاب النار قد قدره الله على أقوام منهم يعذبون بالقدر الذي قدره ربه العزة عليهم ، ثم يخرجهم في الوقت الذي قدره سبحانه ، ولا ينبغي لعبد أن يستهين بعذاب النار ، بل ولا يستهين بشدة الموقف ، حيث إن الناس يطلبون الفصل لينصرفوا من الموقف من شدة ما هم فيه ، مع أن بعد الموقف جنة أو نار .

٤- عذاب النار يبلغ إلى من قدره الله سبحانه عليه ، فالشافعون يذهبون فيخرجون من النار من قد امتحشوا فيها ، فيخرجونهم ، ومع ذلك لا يصيب هؤلاء الشافعين من النار ولا لفحها شيئًا ؛ لأن المقدر لذلك هو الله .

٥- الشفاعة ليست تغير أمر قد قدره الله سبحانه ، بل هي وقوع القدر الذي قدره الله سبحانه ، فما بعث الله الخلائق إلا لحسابهم ، ومع ذلك لا يأذن في الحساب إلا بشفاعة النبي ﷺ ، فكأن الشفاعة إنما هي منزلة للشافع على الخلائق يوم الفصل والحساب .

٦- أن الأنبياء وهم أعرف الخلق بربهم يستحون من أمور يذكرونها ويسمونها معاصي ، مع أن الله سبحانه عصم الأنبياء ، ولو يؤاخذ بقية الخلق بمثل ما استحى منه الأنبياء لما كُتب لأحد من الخلق نجاة من النار .

٧- أن أهل التوحيد هم الناجون ، وأهل الشرك لا نجاة لهم ، فلا يخرج من النار مشرك ، ولا يخلد فيها موحد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : كثير من العامة يقولون لمن توسل في دعائه بنبي أو غيره : قد تشفع به من غير أن يكون المتشفع به شفع له ولا دعا له ، بل قد يكون غائبًا لم يسمع كلامه ولا شفع له ، وهذا ليس في لغة النبي ﷺ وأصحابه وعلماء الأمة ، بل ولا في لغة العرب ؛ فإن الاستشفاع طلب الشفاعة .

والشافع : هو الذي يشفع للسائل فيطلب له ما يطلب من المسئول المدعو المشفوع إليه ، وأما الاستشفاع بمن لم يشفع للسائل ولو طلب له حاجة ، بل وقد لا يعلم بسؤاله فليس هذا استشفاعًا لا في اللغة ولا في كلام من يدري ما يقول . نعم هذا سؤال به ودعاؤه ليس هو استشفاعًا به .

ويقول شيخ الإسلام : ومعلوم أنه لو كان طلب دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعًا لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أعلم بذلك وأسبق إليه من غيرهم ، ولكان أئمة المسلمين يذكرون ذلك ، وما أحسن ما قال مالك : (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح أولها) . قال : ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك .

والله من وراء القصد .

أولئك الرجال حقاً ..

رجال المساجد

بقلم الشيخ / مجدي قاسم

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۞ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور : ٣٦- ٣٨] .

لما ذكر الله النور في آية النور ، ذكر المحل الذي يتجلى فيه ، ويتبلور هذا النور لتتصل به القلوب المؤمنة وتقتبس منه ، وهي المساجد التي هي خير بقاع الأرض على الإطلاق ، وأحب البقاع إلى الله ، وهي بيوته التي فيها يُعبد ويُوحّد ، فقد قال النبي ﷺ : ((خير البقاع المساجد ، وشر البقاع الأسواق))[1].

وقال ﷺ : ((أحبُّ البلاد إلى الله تعالى مساجدُها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقُها)) . [رواه مسلم] .

وهي أحب البقاع إلى قلوب عباد الله المخلصين ، وهذا من تمام وكمال حبهم لمولاهم ، وإليها يهرع من يريد السكينة والطمأنينة ، ومن أرهقته ماديات الحياة ، وأدرانها ، إلى حيث الطهر والطهارة ، إلى نبع الإيمان والرحمة والروح والريحان ، حيث يشتاق الملهوفون والمتضرعون والمستغيثون ، حيث يحنّ الراكعون الساجدون ، يستشعرون أنه فيها طمأنينة وسكينة البيت ، حيث يقول النبي ﷺ : ((المسجد بيت كل مؤمن))[2].

وقال ﷺ : ((المسجد بيتُ كل تقيٍّ ، وتكفّل الله لمن كان المسجدُ بيتَه بالرَّوح والرحمة ، والجواز على الصراط إلى رضوان الله ؛ إلى الجنة))[3].

فقد قال عدي بن حاتم ، رضي الله عنه : (ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها) . وقال رضي الله عنه : (ما أقيمت الصلاة منذ أسلمتُ إلا وأنا على وضوء)[4].

وقال إمام التابعين سعيد بن المسيب : (ما دخل عليَّ وقت الصلاة إلا وقد أخذت أهُبتَها ، ولا دخل عليَّ قضاء فرض إلا وأنا إليه مشتاق)[5] .

وقد أمر الله ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها من الدنس واللغو من الأقوال والأفعال التي لا تليق ،

---

(١) رواه الطبراني والحاكم ، وحسّنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (ح ٣٢٦٦) ، وانظر ((صحيح الترغيب)) (ح ٣٢٣) .

(٢) رواه أبو نعيم ، وحسّنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (ح ٦٥٧٨) .

(٣) رواه الطبراني وغيره ، وحسّنه البزار والمنذري ، وصححه الألباني في ((صحيح الترغيب)) (ص ١٣١) .

(٤) ((سير أعلام النبلاء)) (١٦٤/٣) .

(٥) ((الحلية)) (٩٥/٢، ٩٦) .

• نهى النبي ﷺ عن النخامة والتفل والبصاق في المسجد ، ومن فعل ذلك فعليه إزالته أو دفنه ، وقد نهى عن نشد الضالة في المسجد ، أو البيع والشراء ورفع الصوت .

• المسجد بيت كل تقي ، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة ، والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة .

فقد أذن الله لمن أراد به الخير أن يبنيها ، ووعده على ذلك الجنة ، فقد قال رسول الله ﷺ : ((من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله ، بنى الله له بيتًا في الجنة)) . وفي رواية : ((بنى الله له مثله في الجنة))(١).

وقال النبي ﷺ : ((من بني لله مسجدًا قدرَ مَفْحَصِ قطاةٍ - أي مجثمها لتبيض - بنى الله له بيتًا في الجنة))(٢).

وفي حديث : ((من بنى لله مسجدًا صغيرًا كان أو كبيرًا ...)) . وفي حديث : ((.. بنى الله له بيتًا في الجنة أوسع منه)) . وفي حديث : ((.. أفضل منه)) . وفي حديث : ((من بنى مسجدًا لا يريد به رياء ولا سمعه ..))(٣).

وقال النبي ﷺ : ((إن مما يَلحق المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته ، علمًا علّمه ونشره ، أو ولدًا صالحًا تركه ، أو مصحفًا ورّثه ، أو مسجدًا بناه ، أو بيتًا لابن السبيل بناه ، أو نهرًا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله ، في صحته وحياته ، تَلْحَقُه من بعد موته))(٤).

وقد أمر النبي ﷺ ببناء المساجد وتنظيفها وتطييبها ، فعن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : (أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور - أي القبائل - وأن تُنظّف وتُطيَّب)(٥).

وعن سَمُرة بن جُندب ، رضي الله عنه ، قال : (أمرنا رسول الله ﷺ أن نتخذ المساجد في ديارنا ، وأمرنا أن نُنظّفها) . [رواه أحمد وغيره ، وصححه الألباني] .

ولذا نهى النبي ﷺ عن النخامة والتفل والبصاق في المسجد ، ومن فعل ذلك فعليه إزالته أو دفنه ، فقد قال رسول الله ﷺ : ((البصاق في المسجد خطيئة ، وكفارتُها دفنُها)) . [رواه الستة، إلا ابن ماجه].

وقد كان عمر يُجمّر مسجد رسول الله ﷺ كل

(١) رواه البخاري ومسلم ، قال الألباني في ((صحيح الترغيب)) (ص ١٠٩) عن معنى ((مثلَه)) : أي في الشرف والفضل والتوقير ؛ لأنه جزاء المسجد ، فيكون مثلاً له في صفات الشرف .

(٢) رواه البزار والطبراني وابن حبان ، وصحّحه الألباني في ((صحيح الترغيب)) .

(٣) وقد حسّن الألباني هذه الأحاديث في ((صحيح الترغيب)) .

(٤) رواه ابن ماجه وغيره ، وقد حسّنه المنذري والألباني ، كما في ((صحيح الترغيب)) (ص ١١١) ، وانظر حديث أنس في ((صحيح الجامع)) (ح ٣٦٠٢) .

(٥) رواه أحمد وأصحاب السنن ، إلا النسائي ، وصحّحه الألباني في ((صحيح الترغيب)) (ص١١٣) ، و((مشكاة المصابيح)) (ح ٧١٧) .

جمعة . [رواه أبو يعلى ، وحسّن إسناده ابن كثير في ((تفسيره))] .

وقد نهى النبي ﷺ عن نشد الضالة في المسجد ، وأيضًا نهى عن البيع والشراء فيه ، وعن رفع الصوت ، وعن التباهي في المساجد ، وتناشد الأشعار افتخارًا ومباهاة ، أو تضييعًا للأوقات ، وعن اتخاذها قبورًا ، وأن يُدعى مع الله أحدٌ فيها ، وأن لا تتخذ طرقًا لغير ذكر أو صلاة ، كما نهى أن يُستقاد في المسجد ، أو تُقام فيه الحدود .. إلى آخر آداب المساجد[1] .

وقد قال النبي ﷺ : ((... إنما بُنيت المساجدُ لِما بُنيت له)) . [رواه مسلم] ، وقد بيّن ذلك في حديث الأعرابي الذي بال في المسجد ، فقال له : ((إن المساجد لم تبنِ لهذا ، إنما بُنيت لذكر الله والصلاة فيها)) . فلم تجعل المساجد للهو الحديث - كما نرى في زماننا هذا - فقد قال رسول الله ﷺ : ((سيكون في آخر الزمان قومٌ يكون حديثهم في مساجدهم ، ليس لله فيهم حاجة)) . [رواه ابن حبان ، وحسّنه الألباني في ((صحيح الترغيب)) (ص ١١٩)] .

وقال ﷺ : ((سيكون في آخر الزمان قوم يجلسون في المساجد حِلقًا حِلقًا ، إمامهم الدنيا فلا تجالسوهم ، فإنه ليس لله فيهم حاجة))[2] .

وقد أذن الله لمن أراد به الخير أن يَعْمُرَ هذه المساجد التي أقيمت لتقوى الله وعبادته ، فقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۞ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة : ١٧، ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [الأعراف : ٢٩] ، وقد قال النبي ﷺ : ((من غدا إلى المسجد وراح ، أعدّ الله له نزلاً من الجنة كلما غدا أو راح)) . [أخرجه البخاري] . وقال ﷺ : ((صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمسًا وعشرين درجة ، وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة ؛ لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة ، وحطّ عنه بها خطيئة ، حتى يدخل المسجد ، فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه ، وتصلي الملائكة عليه ما دام في مجلسه الذي يُصلي فيه ، يقولون : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، اللهم تب عليه ، ما لم يؤذِ فيه أو يُحدِث فيه)) . [متفق عليه] . وقال ﷺ : ((إذا تطهر الرجل ، ثم أتى المسجد يَرعى الصلاة ، كتب له كاتباه أو كاتبه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات ، والقاعدُ يرعى الصلاة كالقانت[3] ، ويُكتب من المصلين من حين يَخرجُ من بيته حتى يرجعَ إليه))[4] .

وقال ﷺ : ((مَن خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاجّ المُحرم ، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا يُنصبه إلا إياه ، فأجره كأجر المعتمر ، وصلاةٌ على أثر صلاة ، لا لغو بينهما ، كتابٌ في عليين)) . [رواه أبو داود ، وحسّنه الألباني] .

ويزداد الأجر ويَعْظُم الثواب إذا كان السير إلى المسجد في ظلمة الليل ، والجزاء من جنس العمل ، فمن تحمل السير في الظلام إلى المسجد فلأجره أن ينال النور يوم القيامة ، يوم يعظم الاحتياج إلى النور ليجتاز الصراط إلى الجنة ، فيقول الرسول ﷺ : ((بَشِّر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التامّ يومَ القيامة))[5] .

وكلما كانت الدور أبعد عن المسجد والخطوات أكثر كان الأجر أعظم ، فقد قال رسول الله ﷺ : ((الأبعدُ فالأبعدُ من المسجد أعظمُ أجرًا)) . [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه] . وقال ﷺ : ((إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم ، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام ، أعظمُ أجرًا من الذي يصليها ثم ينام)) . [متفق عليه] . وقال ﷺ : ((إسباغ الوضوء في المكاره ، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، تغسل الخطايا غسلاً))[6] . وقال ﷺ : ((ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفعُ به الدرجات ؟)) قالوا : بلى ، يا رسول الله ؟ قال :

---

(1) راجع الأحاديث في ((صحيح الترغيب)) (ص ١١٤- ١٩٩) ، و((مشكاة المصابيح)) باب : المساجد ومواضع الصلاة .

(2) رواه الطبراني وغيره ، وصححه الألباني في ((الصحيحة)) (ح ١١٦٣) .

(3) القنوت له عدة معان : منها السكوت ، والدعاء ، والطاعة ، والتواضع ، وإدامة الحج ، وإدامة الغزو ، والقيام في الصلاة .. قال المنذري : (وهو المراد في هذا الحديث) .

(4) رواه أحمد وغيره ، وقد صححه المنذري والألباني في ((صحيح الترغيب)) (ص ١٢١، ١٨٣) .

(5) رواه أبو داود والترمذي ، وصححه في ((الترغيب)) (ص ١٢٦) ، وقد رواه جمع من الصحابة ، فانظره هناك (ص١٢٧) .

(6) رواه أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح ، قاله المنذري كما في ((صحيح الترغيب)) (ح ٣١١) .

((إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرةُ الخُطا إلى المساجد ، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط)) . [رواه مسلم وغيره] .

وقال ﷺ : ((منتظرُ الصلاة بعد الصلاة ، كفارس اشتدَّ به فرسُه في سبيل الله على كَشْحِهِ – أي عدوه المضمر العداوة – وهو في الرباط الأكبر))[1] .

وهذا المجاهد المرابط لا يكون إلا لمن قلبُه مُعلَّقٌ بالمساجد .. يتردد على المسجد خمس مرات ، وما أشبع منه وطره ، كلما تركه هفا القلب إليه اشتياقًا فأسرع إليه ، لا يشعر باللذة إلا بذلك ، بل لا يعرف معنى الحياة إلا بذلك ، فالمسجد له كالماء للسمك لا يحيا بعيدًا عنه ، كما قال رسول الله ﷺ : ((سبعةٌ يُظلهم الله في ظله ، يوم لا ظلَّ إلا ظله ، أي في ظل عرشه ...)) . وذكر منهم : ((ورجلٌ قلبه معلقٌ بالمساجد)) . [متفق عليه] .

جعل المسجد بيته ووطنه ، فيه أنسُه وطمأنينته وسكينته ، فلا يجد الراحة إلا في رحابه ، والرب تبارك وتعالى مقبلٌ على عبده هذا فرحٌ به ، يرضى عنه ويقرِّبه منه ويُكرمه . وقد مضى حديث النبي ﷺ : ((المسجد بيت كل تقي ، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة ، والجواز على الصراط إلى رضوان الله ؛ إلى الجنة)) .

وهؤلاء الذين استوطنوا المساجد وجعلوها مجالسهم وبيوتهم وحرصوا على المشي إليها هم في ضمان الله وأمنه ورعايته ورحمته وإكرامه ، فهم ممن قال فيهم رسول الله ﷺ : ((ستٌّ مجالس ؛ المؤمن ضامن على الله تعالى ما كان في شيء منها : في مسجد جماعة ، وعند مريض ، أو في جنازة ، أو في بيته ، أو عند إمام مُقسط يُعزِّزُه ويُوقره ، أو في مشهد جهاد))[2] . وقال رسول الله ﷺ : ((ثلاثة كلهم ضامن على الله : رجل خرج غازيًا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة ، أو يردَّه بما نال من أجر أو غنيمة ، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة ، ورجل دخل بيته بسلام ، فهو ضامن على الله))[3] .

وقال رسول الله ﷺ : ((ثلاثة في ضمان الله عز وجل : رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله عز وجل ، ورجل خرج غازيًا في سبيل الله تعالى ، ورجل خرج حاجًا))[4] .

وهؤلاء الذين توطنوا المساجد هم أوتادها ولهم جلساء من الملائكة ، كما قال رسول الله ﷺ : ((إن للمساجد أوتادًا ، هم أوتادُها ، لهم جلساء من الملائكة ، فإن غابوا سألوا عنهم ، وإن كانوا مرضى عادوهم ، وإن كانوا في حاجة أعانوهم))[5] .

وطالما كان العبد في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة ، وتدعو له الملائكة ، كما قال رسول الله ﷺ : ((لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسُه ، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة)) . [متفق عليه] . وفي رواية للبخاري ولمسلم نحوها : ((إن أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه ، والملائكة تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، ما لم يَقُمْ من مصلاه ، أو يُحْدِث)) . وقد تقدمت أحاديث تدخل في هذا المعنى . وهؤلاء يباهي الله بهم الملائكة ، فعن عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما ، قال : صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب ، فرجع مَن رجع ، وعقَّب من عقَّب (أي تأخر من تأخر) ، فجاء رسول الله ﷺ مسرعًا قد حفزه النفس ، قد حسر عن ركبتيه ، قال : ((أبشروا ، هذا ربُّكم قد فتح بابًا من أبواب السماء ، يباهي بكم الملائكة ، يقول : انظروا إلى عبادي ، قد قضَوا فريضة ، وهم ينتظرون أخرى))[6] .

كل هذا الخير وكل هذا الفضل يتنزل من الله على أهل المساجد ؛ لأنهم زوَّار الله ، وحقٌّ على المزور أن يُكرم زائره ، فما بالكم بأكرم الأكرمين سبحانه وتعالى ، يقول النبي ﷺ : ((مَن توضأ في بيته فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد فهو زائر الله ، وحقٌّ على المزور أن يكرم الزائر))[7] . وقال أيضًا رسول الله ﷺ : ((إن الله لينادي يوم القيامة : أين جيراني ؟ أين جيراني ؟ قال : فتقول الملائكة : ربنا ، ومن ينبغي أن يجاورك ؟ فيقول : أين عُمَّار المساجد ؟))[8] .

---

(١) رواه أحمد والطبراني ، كما في ((صحيح الترغيب)) (ح ٤٥٠) وحسنه .
(٢) رواه الطبراني وغيره ، وقد حسنه الألباني .
(٣) رواه أبو داود وغيره ، وانظر ((صحيح الجامع)) (ح ٣٠٤٨) .
(٤) رواه أبو نعيم ، وانظر ((الصحيحة)) (ح ٦٠٠) .
(٥) رواه أحمد (ح ٩٤١٤) ، والحاكم ، وصححه الألباني في ((صحيح الترغيب)) (ح ٣٢٧) ، وقد ورد موقوفًا عن عبد الله بن سلام عند الحاكم (٣٩٨/٢) .
(٦) رواه ابن ماجه ، وانظر ((صحيح الجامع)) (ح ٤٤٥) .
(٧) رواه الطبراني ، وحسنه المنذري والألباني في ((صحيح الترغيب)) (ح ٣٢٠) .
(٨) رواه الحارث في ((مسنده)) ، وصححه الألباني في ((الصحيحة)) (ح ٢٧٢٨) .

دعوة إلى مساعدة مسلمي كوسوفا في محنتهم الحالية

سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مفتي عام المملكة العربية السعودية ، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يطلع عليه من المسلمين من الملوك والأمراء والأغنياء ، وفقهم الله لكل خير وجعلنا وإياهم ممن يعين على نوائب الحق ، آمين .. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فمما لا يخفى على الجميع ما أصيب به الشعب الكوسوفي من الظلم والعدوان والقتل والتشريد من الصرب المعتدين ، ولا شك أن ذلك يوجب على المسلمين عمومًا التعاون مع إخوانهم المسلمين في كوسوفا والوقوف في صفهم وإمدادهم بأنواع المساعدة بواسطة هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية ، وبواسطة مؤسسة الحرمين الخيرية بالمملكة أيضًا ؛ لأن الجهتين المذكورتين قائمتان بنشاط متواصل في نصر إخوانهم في كوسوفا وإمدادهم بأنواع المساعدة .

وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٧١] ، وقال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٢] ، وقال عز وجل : ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ [التوبة : ٧٢] ، وقال سبحانه : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٦] ، وقال النبي ﷺ : ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا)) . وشبك بين أصابعه . وقال عليه الصلاة والسلام : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) . وقال ﷺ : ((من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)) . والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

وأسأل الله أن يخذل أعداء الإسلام ، ويجعل كيدهم في نحورهم ، وأن ينصر المسلمين ويجمع كلمتهم على الحق ، ويكفيهم شر أعدائهم ، وأن يعينهم على التمسك بدينهم والثبات عليه ، وأن يكفيهم شر الأعداء ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أسئلة القراء

عن الأحاديث

يجيب عليها

فضيلة الشيخ

أبو اسحاق الحويني

● يسأل القارئ : محمد شاهين بدوي عن درجة هذه الأحاديث :

١ – « إذا نزل الرجل على قوم ، فلا يصم إلا بإذنهم » ؟

⊙ الجواب : **حديثٌ منكرٌ** .

أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٤١/٣، ١٤٢) عن علي بن الحسين معضلاً ، وقد ورد موصولاً ، أخرجه الترمذي في « سننه » (٧٨٩) ، وفي « العلل الكبير » (٣٧٠/١) ، وابن عدي في « الكامل » (٣٤٨/١) ، وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » (١٩٠/١ و٢٦٦/٢) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٥٣٦) من طريق بشر بن معاذ العقدي ، ثنا أيوب بن واقد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة مرفوعًا : « من نزل على قومٍ فلا يصومنّ تطوعًا إلا بإذنهم » .

ورواه سليمان بن أيوب صاحب البصري ، عن أيوب بن واقد بسنده سواء . أخرجه ابن حبان في « المجروحين » (١٦٩/١) ، ومن طريقه ابنُ الجوزي في « الواهيات » (٨٦٩) . قال الترمذي في « سننه » : (هذا حديثٌ منكرٌ ، لا نعرفُ أحدًا من الثقات روى هذا الحديث عن هشام بن عروة ، وقد روى موسى بن داود عن أبي بكر المدني عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة عن النبي ﷺ نحوًا من هذا ، وهذا حديثٌ ضعيفٌ أيضًا ، وأبو بكر ضعيفٌ عند أهل الحديث ، وأبو بكر المديني الذي روى عن جابر بن عبد الله ، اسمه : الفضل بن مبشر ، وهو أوثقُ من هذا وأقدمُ) . اهـ .

وقال الترمذي في « العلل الكبير » : (سألت محمدًا – يعني : البخاري – عن هذا الحديث ، فقال : (حديثٌ منكرٌ) .

وقال ابن حبان في ترجمة أيوب بن واقد : (كان يروي المناكير عن المشاهير ، حتى يسبق إلى القلب أنه كان يتعمد لها ، لا يجوز الاحتجاج بروايته) .

وقال ابن عدي : (وأيوب بن واقد عامة ما يرويه لا يتابع عليه) .

● قُلْتُ : توبع أيوب بن واقد كما تقدَّم في كلام الترمذي ، تابعه أبو بكر المدني ، وهو أبو بكر الداهري ، وقد أخرج هذه المتابعة ابنُ ماجه (١٧٦٣) قال : محمد بن يحيى الأزدي ، ثنا موسى بن داود به . وسنده ضعيفٌ جدًا ، وأبو بكر الداهري تالفٌ .

وقال ابنُ الجوزي : (هذا حديثٌ لا يصح) . ونقل المناوي في « الفيض » (٤٤٦/١) عن البيهقي أنه قال : (إسناده مظلم) ، وقد وقفتُ له على شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « من ألبسه الله نعمةً فليكثر من الحمد لله ، ومن كثرت همومُه فليستغفر الله ، ومن أبطأ عنه رزقه ، فليكثر من قول : لا حول

ولا قوة إلا بالله ، ومن نزل مع قوم فلا يصومنّ إلاّ بإذنهم ، ومن دخل دار قوم فليجلس حيث أمروه ، فإن القوم أعلمُ بعورة دارهم ، وإن من الذنب المسخوط به على صاحبه : الحقدُ ، والحسدُ ، والكسلُ في العبادة ، والضنكُ في المعيشة)) .

أخرجه الطبراني في ((الأوسط)) (٦٥٥٥) ، وفي ((الصغير)) (٧٢/٢) من طريق محمد بن سلمة المرادي ، نا يونس بن تميم ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة .

وأخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (ج١٣/ ق٧١٣) من طريق محمد بن سلمة المرادي ، لكن وقع عنده : (أيوب بن تميم) بدل : (يونس بن تميم) . والصواب أنه يونس .

وهو خبرٌ باطلٌ كما قال الذهبي في ((الميزان)) (٤٧٨/٤) في ترجمة : (يونس بن تميم) .

● ٢- ((من أشراط الساعة ، موت الرجل فجأة)) ؟

⊙ الجواب : **حديث ضعيفٌ** .

أخرجه أبو عمرو الداني في ((السنن الواردة في الفتن)) (٣٩٥، ٣٩٩) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة ، عن الشعبي أن رسول الله ﷺ قال : ((إن من أشراط الساعة موت الفجأة)) . وهذا سندٌ ضعيفٌ لإرساله ، وقد رأيته موصولاً . أخرجه الطبراني في ((الصغير)) (١٢٩/٢) قال : حدثنا الهيثم بن خالد المصيصي ، حدثنا عبد الكبير بن المعافي بن عمران ، حدثنا شريك، عن العباس بن ذريح ، عن الشعبي ، عن أنس مرفوعًا : ((من اقتراب الساعة أن يُرى الهلال قبلاً ، فيقالُ : لليلتين ، وأن تتخذ المساجدُ طرقًا ، وأن يظهر موت الفجأة)) . قال الطبراني : (لم يروه عن الشعبي إلا العباس بن ذريح ، ولا عنه إلا شريكٌ ، تفرد به : عبد الكبير) . وأعله الهيثمي في ((المجمع)) (٣٢٥/٧) بالهيثم بن خالد شيخ الطبراني ، وقال : إنه ضعيفٌ . ومن نظر في نقد الطبراني وقع له أن الهيثم لم يتفرد به ، والصواب إعلاله بشريك بن عبد الله النخعي ، فهو سيء الحفظ . أما الراوي عنه وهو عبد الكبير بن المعافي فقد قال فيه أبو حاتم الرازي - كما في ((الجرح والتعديل)) (٦٣/١/٣) -: (كان ثقةً رضًا ، وكان يُعدُّ من الأبدال) .

ورأيتُ للحديث طريقًا آخر عن أنس . أخرجه ابنُ عدي في ((الكامل)) (٧٠٥/٢) ، ومن طريقه ابنُ الجوزي في ((الواهيات)) (١٤٩١) من طريق الحسن بن عمارة ، عن الحواري بن زيادٍ ، عن أنسٍ مرفوعًا : ((إن من اقتراب الساعة : فشو الفالج ، وموتُ الفجأة)) .

وسنده ضعيفٌ جدًا . والحسن بن عمارة مطروحٌ كذبه ابن معين وغيره ، وتركه آخرون ، وبالجملة : فالحديث لا يصح من كل طرقه . والله أعلم .

● ٣- أن رسول الله ﷺ لما تلا قوله تعالى : ﴿ ما غرك بربك الكريم ﴾ ، قال : ((غرّهُ جهله)) ؟

⊙ الجواب : **حديثٌ ضعيفٌ** .

أخرجه أبو عبيد في ((فضائل القرآن)) (١٩٥- طبع المغرب) قال : حدثنا كثير بن هشام ، عن جعفر بن برقان ، عن صالح بن مسمار قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم ﴾ ، فقال : ((جهله)) .

وأخرجه الثعلبي في ((تفسيره)) (٢/٢٣٠/٧) ، ومن طريقه الواحدي في ((الوسيط)) من طريقين آخرين عن كثير بن هشام به . وهذا سندٌ ضعيفٌ لإعضاله .

● ٤- ((أن النبي ﷺ قرأ : إنا انطيناك الكوثر)) ؟

⊙ الجواب : **حديث ضعيفٌ جدًا** . أخرجه الحاكمُ في ((المستدرك)) (٢٥٦/٢) من طريق أزهر بن مروان . والدارقطني في ((المؤتلف والمختلف)) (ص ٢٠٤١) من طريق عمرو بن مخرم قالا : ثنا عبد الوارث ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري ، عن

أمه ، عن أم سلمة فذكرته . ووقع في ((المستدرك)) : ((أعطيناك)) وهو تصحيف ، وقد عزاه الزيلعيُّ في ((تخريج أحاديث الكشاف)) (٣٠٣/٤) إلى الحاكم بلفظ : ((أنطيناك)) بالنون . وعزاه أيضًا للطبراني في ((معجمه)) ، والثعلبي وابن مردويه في ((تفسيريهما)) . قال الحاكم : (صحيح الإسناد) . فتعقبه الذهبي بقوله : (عمرو بن عبيد واهٍ) .

● ٥- ((أن النبي ﷺ كان يعجبه الصلاة في الحيطان)) ؟

⊙ الجواب : **حديثٌ ضعيفٌ** .

أخرجه الترمذي (٣٣٤) ، ومن طريقه ابنُ الأبار في ((معجم أصحاب أبي علي الصفدي)) (ص ٢٦١) ، وأبو الشيخ في ((ما رواه أبو الزبير عن غير جابر)) (رقم ٤٨- بتحقيقي) ، وابنُ عدي في ((الكامل)) (٧١٨/٢) من طريق أبي داود الطيالسي ، ثنا الحسن بن أبي جعفر ، عن أبي الزبير ، عن أبي الطفيل ، عن معاذٍ فذكره .

وتابعه مسلم بن إبراهيم ، عن الحسن بن أبي جعفر بسنده سواء . أخرجه تمام الرازي في ((الفوائد)) (٢٨٣) . قال الترمذي : (هذا حديثٌ غريبٌ ، لا نعرفه إلاَّ من حديث الحسن بن أبي جعفر ، والحسن بن أبي جعفر قد ضعَّفه يحيى بن سعيد وغيره) .

وقال ابنُ عدي : (وهذا لا يُعرف رواه عن أبي الزبير غير الحسن بن أبي جعفر) .

والحسن هذا كان من المتعبدين ممن غفل عن صناعة الحديث كما قال ابن حبان ، فآل فيه الأمر إلى سوء الحفظ والغفلة ، حتى قال فيه البخاري : (منكر الحديث) . وضعَّفه أحمد وابنُ المديني والنسائي والفلاس وغيرهم .

وقد فسَّر أبو داود الطيالسي الحيطان بـ (البساتين) .

● ويسأل القارئ : علاء السيد المندوه - عن درجة حديث : ((لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس)) ؟

⊙ والجواب : **أنه حديث صحيح** .

أخرجه النسائي في ((الكبرى)) (٢٥١/٥، ٢٥٢) ، والطبراني في ((الكبير)) (ج٢٣/ رقم ٦٩٣) ، والخطيب في ((تاريخه)) (١١٠/١٠، ١١١) من طريق عبد الله بن وهبٍ ، عن عمرو بن الحارث ، عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله ، عن سفينة مولى أم سلمة ، عن أم سلمة ، عن النبي ﷺ، فذكره ، وسنده صحيح ، وتوبع عمرو بن الحارث .

تابعه عقيل بن خالد ، عن الزهري مثله . أخرجه أبو يعلى في ((المسند)) (٦٩٤٥) ، وفي ((المعجم)) (٨٣) ، والخرائطي في ((المساوئ)) (٨٣٨) ، والطبراني في ((الكبير)) (ج٢٣/ رقم ٨٩٨) ، وتابعه أيضًا محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري مثله .

أخرجه الطبراني (٨٩٩) ، وللحديث طرق أخرى عن أم سلمة وشواهد من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك ، رضي الله عنهما .

أمَّا حديث أبي هريرة مرفوعًا : ((لا تصحب الملائكة رفقةً فيها كلبٌ أو جرس)) . فأخرجه مسلم (١٠٣/٢١١٣) ، وأبو داود (٢٥٥٥) ، والترمذي (١٧٠٣) ، والدارمي (٢٦٧٩) ، وأحمد (٢٦٢/٢، ٢٦٣، ٣١١، ٣٢٧، ٣٤٣، ٣٩٢، ٤٤٤، ٤٧٦، ٥٣٧) ، وابن حبان (٤٧٠٣) ، والبيهقي (٢٥٤/٥) من طرق عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة .

وأما حديث أنس ؛ فأخرجه أبو الشيخ في (ما رواه أبو الزبير عن غير جابر) (٢٤، ٢٥) ، والطبراني في ((الأوسط)) (٤٦٩٩) ، وابن عدي في ((الكامل)) (١٢١١/٣) من طريق محمد بن بكار بن بلال ، عن سعيد بن بشير ، عن أبي الزبير ، عن أنسٍ مرفوعًا : ((لا تقرب الملائكة عيرًا فيها جرسٌ ، ولا بيتًا فيه جرس)) . وقد خولف محمد بن بكار ، خالفه محمد بن خالد بن عثمة قال : حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن سعيد بن هشام ، عن عائشة مرفوعًا : ((لا تصحب الملائكة رفقةً فيها كلب أو جرس)) . فجعله من ((مسند عائشة)) . أخرجه الخرائطي في ((مساوئ الأخلاق)) (٨٣٥) .

وعلة هذا الاضطراب من سعيد بن بشير ، فإنه ضعيفٌ .

وقال ابنُ عدي : (لا يعرف عن أبي الزبير إلا من حديث سعيد بن بشير عنه ، ولا أظنُّ أنه يُعرف ؛ لأن الزبير عن أنسٍ غيره) .

والحمد لله رب العالمين .

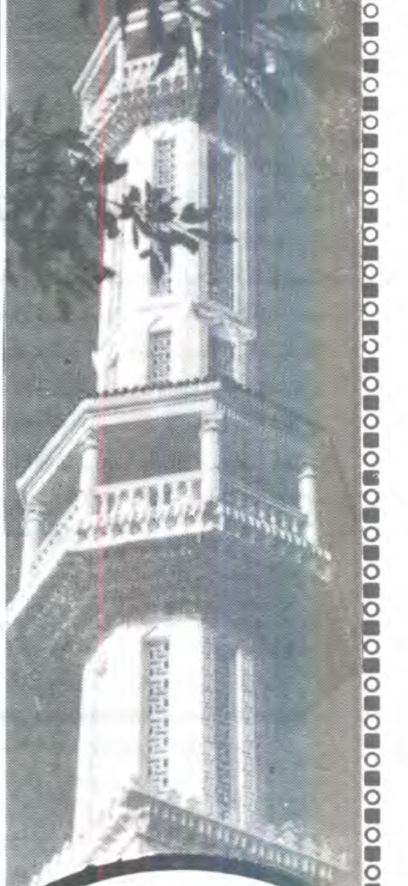

الفتـاوى

إعداد

لجنة الفتوى

بالمركز العام

رئيس اللجنة

محمد صفوت نور الدين

أعضاء اللجنة

صفوت الشوادفي

د. جمال المراكبي

استغلال أموال صناديق التكافل عن طريق إيداعها في البنوك الربوية استغلال محرم!!

● يسأل القارئ : أحمد جودة أحمد - قويسنا :

أعمل في إحدى الجهات الحكومية ، وقد قررت هذه الجهة إنشاء صندوق للتكافل الاجتماعي للعاملين بها ، على أن يدفع كل من يرغب في الاشتراك ٦٪ من أساس راتبه الشهري ، وعند خروجه إلى المعاش لأي سبب يحصل على مبلغ مالي متجمد مقداره شهر عن كل عام يحسب على آخر أساس لراتبه الشهري ، علمًا بأن موارد هذا الصندوق بالإضافة للاشتراكات الشهرية فوائد من البنوك التي تودع فيها أموال هذا الصندوق وموارد أخرى مثل الإعلانات وغيرها ، فما حكم الإسلام في ذلك ؟

⊙ **الجواب** : سبق نشر فتوى مفصلة عن صناديق التكافل الاجتماعي ، وقلنا : إن التكافل أمر مشروع تحث عليه الشريعة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] ، ويعفى في التبرعات عما لا يُعفى عنه في سائر المعاملات .

ولكن سبق أن نبهنا على أن استغلال أموال صناديق التكافل عن طريق إيداعها في البنوك الربوية استغلال محرم ، ولهذا ينبغي على القائمين على هذه الصناديق استغلال هذه الأموال وتنميتها بطريق مشروع لا ربًا فيه ولا ريبة .

وينبغي على المسلم أن يحتاط لدينه ، ولا يشارك في صندوق يستغل أمواله استغلالاً محرمًا شرعًا ، والله أعلم .

صناعة التماثيل وبيعها حرام !!

● ويسأل : محمد عبد المجيد محمد - الأقصر :

عن حكم صناعة التماثيل والاتجار بها ؟

⊙ **الجواب** : صناعة التماثيل حرام ، وكذلك بيعها واتخاذها للزينة وغيرها ، وذلك للنصوص الكثيرة الواردة في حرمة التصوير واتخاذ الصور في البيوت ، وأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ، ولا شك أن التماثيل يصدق عليها أنها من الصور المحظورة شرعًا .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام - التماثيل .

وقد منع الشارع الحكيم من صناعتها وتداولها سدًّا لذريعة الشرك ، فهي باب من أبواب الشرك ، والعياذ بالله .

ومن أراد الرزق الحلال الطيب فليتق الله تعالى ، ولا يتعامل في هذه التماثيل بيعًا ولا شراءً . والله أعلم .

* * *

باب التوبة مفتوح لا يغلق

● ويسأل القارئ : أسامة صلاح عبد الغني :

هل من توبة لرجل ارتكب ذنوبًا كبيرة يستوجب بعضها حدًا دون أن يقام عليه ؟

⊙ الجواب : باب التوبة مفتوح على مصراعيه لا يغلق حتى يصل الإنسان إلى حال الغرغرة ، أو تطلع الشمس من مغربها .

وكبر الذنوب لا يعني اليأس من رحمة الله ، فإن الله سبحانه غافر الذنب وقابل التوب يقول : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح أن الله تعالى يفرح بتوبة عبده فرحًا عظيمًا ، وأنه سبحانه يقول للعبد : ((لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم أتيتني لا تُشرك بي شيئًا غفرت لك ولا أبالي)) . وأنه سبحانه غفر لقاتل المائة ، وأدخله في رحمته ، مع أنه مات ولم يعمل خيرًا قط .

وإذا كان الذنب يستوجب حدًا في الدنيا ، فإن الله سبحانه يقبل توبة فاعله إذا تاب ورجع إلى الله ، ولا يشترط على المذنب أن يسعى لإقامة الحد على نفسه وقد ستره الله ، فالتوبة مع الستر أولى ، والله أعلم .

التمثيل بالجثث الآدمية حرام!!

● كما يسأل : *ما حكم التعامل مع الجثث الآدمية والتمثيل بها في كلية الطب ؟*

⊙ الجواب : التمثيل بالجثث الآدمية حرام ، والاحتفاظ بعظام الموتى حرام ؛ لأن هذا انتهاك لحرمة الموتى ، وهناك بدائل صناعية يمكن استخدامها للمتعلم دون الوقوع في الحرام ، وتزداد الحرمة إذا كان الميت مسلمًا ، والله أعلم .

● ويسأل القارئ : رضا يوسف عبد الفتاح - شمال سيناء - العريش :

قرأت فتوى للأستاذ الدكتور / أبو سريع عبد الهادي أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة بجريدة الجمهورية حول سؤال عن زكاة حلي المرأة من الذهب ، وقد أفتى سيادته بأن الجمهور على أنه لا زكاة فيه مطلقًا مهما كَثُر ، أما رأي الأحناف فيرى أنه يجب فيه الزكاة إذا بلغ النصاب ، أفيدونا أي الرأيين أرجح وأقرب إلى الصواب ؟

وجوب زكاة حلي المرأة إذا بلغ نصابًا

⊙ الجواب : اختلف أهل العلم في زكاة الحلي ؛ هل تجب فيه الزكاة أم لا ، على أقوال .

فمن رأى في الحلي المتخذ للزينة معنى المتاع قال : لا زكاة فيه ؛ لأن المال الذي ينفقه صاحبه في وجه مشروع يخرج من إطار الزكاة ، وعلى هذا فلا زكاة في بيت يسكنه صاحبه ، ولا سيارة يركبها ، ولا حلي تتزين به المرأة .

ومن رأى الحلي داخلاً في مسمى الذهب والفضة ، قال : فيه الزكاة لعموم الآية : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة : ٣٤] ، وعموم قول النبي ﷺ : ((ما تؤدى زكاته فليس بكنز)) .

ومن العلماء من قال : زكاتها إعارتها للغير .

ومنهم من قال : يزكى في العمر مرة .

وخلاف العلماء في الحلي المتخذ للزينة ، أما إذا اتخذ للادخار وبلغ النصاب ففيه الزكاة بالاتفاق ، والراجح وجوب الزكاة في حلي المرأة إذا بلغ نصابًا ؛ أي حوالي ٨٥ جرامًا من الذهب ، أو ٥٩٥ من الفضة ، وذلك لعموم الآية والأحاديث الخاصة التي وردت في هذا

الشأن ، وهي ما بين صحيح وحسن ، مثل ما رواه الثلاثة أصحاب السنن والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت النبي ﷺ ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان من ذهب ، فقال لها : « أتعطين زكاة هذا ؟ » قالت : لا ، قال : « أيسرك أن يسورك اللَّه بهما سوارين من نار ؟ » فألقتهما .

وما رواه أبو داود والحاكم عن عائشة قالت : دخل عليَّ رسول اللَّه ﷺ فرأى في يدي فتخات من ورق ، فقال : « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت : صنعتهن أتزين لك يا رسول اللَّه ، قال : « أتؤدين زكاتهن ؟ » قالت : لا . قال : « هن حسبك من النار » .

وما رواه ابن ماجه وحسنه الألباني من حديث أم سلمة قالت : كنت ألبس أوضاحًا من ذهب ، فقلت : يا رسول اللَّه ، أكنز هو ؟ فقال : « ما بلغ أن تؤدى زكاته فليس بكنز » .

والتحقيق أنه بعد صحة الأحاديث الصريحة في وجوب زكاة الحلي ، فلا عبرة بأقوال تخالفها ، وإن صدرت عن بعض السلف الصالح أو بعض الأئمة الأعلام ؛ لأنه لا قول لأحد بعد قول رسول اللَّه ﷺ ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويُرد عليه إلا رسول اللَّه ﷺ ، ورحم اللَّه الشافعي حيث قال : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، ولهذا نرى ألا ينسب إلى الشافعي بعدم وجوب زكاة الحلي بعد ثبوت الأحاديث ، واللَّه أعلم .

● ويسأل محاسب : شاكر عراقي سلام - قويسنا - المنوفية :

أفتونا مأجورين : شركة صناعية تقوم بحكم القانون بالتأمين ضد الحريق وضد السرقة وتأمين المعاشات لعمالها ، ولكن هناك بعض العاملين يتعرضون أكثر من غيرهم لبعض الأخطار نظرًا لطبيعة عملهم ، فهل يجوز أن تقوم الشركة بالتأمين عليهم ضد هذه الحوادث والأخطار ، علمًا بأنه تأمين اختياري تقوم به الشركة كنوع من محافظة الشركة على عمالها ؟

⊙ **الجواب** : إذا كانت الشركة هي التي تتولى التأمين عن هؤلاء العاملين وتدفع هي أقساط التأمين كلها ، دون مساهمة من العاملين في هذه الأقساط فلا بأس بذلك ؛ لأن هذا يكون من باب التبرع الذي تقدمه الشركة لعمالها ؛ ولأن في التأمين عليهم نوع من المصلحة لا يخفى .

والأولى أن تقوم الشركة بالتأمين على هؤلاء العاملين تأمينًا تعاونيًا عن طريق إنشاء صندوق خاص بذلك ، ولا مانع من مشاركة العاملين بقدر في تمويل هذا الصندوق ، وذلك لأن التأمين التجاري حرام يتضمن الربا والغرر ، واللَّه أعلم .

لا يجوز للعامل أن يصلي النوافل في وقت العمل إلا بإذن صاحب العمل

● ويسأل القارئ : محمد عبد اللَّه - دار السلام - القاهرة :

١ - هل يجوز للعامل أن يصلي النوافل بدون إذن من صاحب العمل ؟

⊙ **الجواب** : لا يجوز للعامل أن يصلي النوافل في وقت العمل إلا بإذن صاحب العمل ، ولا يشترط أن يكون الإذن صريحًا ، بل قد يكون ضمنيًا يستفاد من قرينة الحال ، فلو أذن لك صاحب العمل في نصف ساعة للصلاة ، فهذا يُفهم منه أنه أذن لك في التهيؤ للصلاة بالوضوء ، وأذن لك في نافلتها ، واللَّه أعلم .

٢ - هل ورد عن الرسول ﷺ قوله : « لا تسيدوني في الصلاة » ، وهل ورد عنه أنه دخل عليه قوم فقال أحدهم : أنت سيدنا وابن سيدنا ، فنهاه ﷺ وقال : « إنما أنا عبد اللَّه ورسوله » ؟

⊙ **الجواب** : لم يصح عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تسيدوني في الصلاة » . والنبي ﷺ سيد ولد آدم بلا منازع ، وقد أخبرنا النبي ﷺ بذلك في الصحيح .

وصح عنه أنه قال للوفد الذي جاءه يقول : أنت سيدنا ، فقال : ((السيد الله)) . وعلى هذا فوصف النبي ﷺ بالسيادة من الأمور المشروعة ، فهو سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، ولكن ينبغي مراعاة هذه الضوابط في هذا الباب :

أولا : من معاني السيد في لغة العرب : الرب المالك المتصرف ، وهذا لا يليق إلا بالله عز وجل ، ولهذا قال النبي ﷺ للوفد الذي قال له : أنت سيدنا ، فقال : ((السيد الله)) . ومن معاني السيادة أيضًا : الأفضلية أو الترأس ، وهي بهذا المعنى تطلق على البشر ، ورسول الله ﷺ له من السيادة بهذا المعنى ما لا يصل إليه بشر ، فهو سيد ولد آدم ، ولهذا ورد في الأحاديث إطلاقها على بعض الناس ، وعلى بعض الأعمال المقدمة على غيرها ، فسعد بن عبادة سيد الخزرج وسعد بن معاذ سيد الأوس ، وسيد الاستغفار ، كما في حديث البخاري ؛ أي أفضل صيغ الاستغفار .

ثانيًا : لا يجوز وصف النبي ﷺ بالسيادة في حالين :

الأول : في النصوص التعبدية كالآذان والتشهد وغيره ؛ لأن في ذلك مخالفة للنصوص الشرعية وتحريف لها .

الثاني : إذا اقترن ذكر الله بذكر نبيه ﷺ كما في الشهادتين ؛ لأنه لا يليق وصف النبي ﷺ في هذا الحال إلا بالعبودية لله ، فنقول مثلاً : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

ثالثًا : هل يُشرع تسييد النبي ﷺ كلما ذكرَ اسمه ؟

والجواب : هذا غير مشروع وغير مأثور ، وما كان أحد من الصحابة مع شدة حبهم لرسول الله ﷺ يقول له : يا سيدي ، أو يقول : حدثني سيدي ، بل كان قائلهم يقول : سمعت رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق ، أو يقول : كنا مع رسول الله ﷺ في مسير .

ولكن المشروع في هذا هو الصلاة والسلام عليه ﷺ كلما ذكر ، وقد بين النبي ﷺ مشروعية ذلك ، وحث عليه ورغب فيه ، وبين أن البخيل حقًا هو الذي يُذكر عنده النبي ﷺ فلا يصلي عليه ، وذلك في أحاديث يطول المقام بسردها ، وهي معلومة مشهورة ، والله أعلم .

٣- ما حكم البيع بالتقسيط ؟

⊙ **الجواب** : البيع بالتقسيط جائز شرعًا ، خاصة مع الضوابط التي ذكرتها في سؤالك ، وهذا هو الراجح من أقوال أهل العلم .

٤- ما حكم استعمال العطور الكحولية ؟

⊙ **الجواب** : الراجح عندنا كراهية استعمال العطور الكحولية ، وقد فصلنا القول في ذلك في فتوى مطولة .

٥- ما حكم تقبيل أيدي العلماء والصالحين ؟

⊙ **الجواب** : تقبيل أيدي العلماء والصالحين من باب التوقير والاحترام جائز ، دون غلو في تعظيمهم .

عليك أن تكثر من الدعاء والاستغفار لوالدك !!

● ويسأل : أ . ع - القاهرة :

كنت أسرق من والدي المال لكي أصرفه في غير مكانه ، ومن ضمن هذا المال كنت أشتري بعض الكتب الدينية والآن توفي والدي ، وأنا الآن نادم على ما فعلت وأريد أن أعمل شيء أكفر فيه عن ذنوبي وأن أعمل شيء يرضي والدي بعد موته ؟ فدلوني إلى طريق التوبة ؟

⊙ **الجواب** : عليك بالتوبة والاستغفار أولاً .

وعليك بالتحلل من عاقبة هذا الذنب بأن تعرض الأمر على باقي الورثة وتطلب منهم أن يعفو عنك ويحلوك من تبعة هذا الذنب .

وعليك أن تكثر من الدعاء والاستغفار لوالدك ، وأن تتصدق ببعض مالك ، ويا حبذا لو كان بثمن هذه الكتب بنية أن يصل ثواب الصدقة لوالدك .

والله الموفق .

من فتاوى
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
(رحمه الله)

● *سُئل الشيخ : عن البيع في المسجد ؟*

⊙ الجواب : لا يصح مجرد عرض سلعة أو تعاقد على بيع أو إجارة في المسجد ، حتى لو كان البيع يتم خارجه .

● *سُئل الشيخ : عن البيع والشراء في المقابر ؟*

⊙ الجواب : مباح .

● سُئل الشيخ : ما حكم مبادلة ذهب عيار ١٨ بذهب عيار ٢١ أو ٢٤ ، علمًا بأنه قد يخلط الذهب بنحاس أو فضة بنسب متفاوتة في هذه العيارات ؟

⊙ الجواب : ما دام يبادل ذهبًا بذهب فلا بد من تساوي الوزن ، فمثلاً عشرة جرامات من عيار ١٨ بمثلها عشرة جرامات من عيار ٢١ ولو تفاوتت نسبة ما خلط به .

● *سُئل الشيخ : بائع الجملة هل يجوز أن يبيع لبعض الناس بسعر ولبعضهم بسعر آخر ؟*

⊙ الجواب : نعم يجوز .

● *سُئل الشيخ : بعض البنوك يعلن عن نفسه أنه بنك إسلامي ولا يتعامل بالربا ، فهل يكفي هذا للإيداع فيه ، أم لا بد من البحث والتأكد من صحة ذلك ؟*

⊙ الجواب : لا بد من التأكد والبحث عن كون البنك لا يتعامل بالربا .

● *سُئل الشيخ : هل يجوز ترك المال في بنك ربوي كوديعة بدون فوائد ؟*

⊙ الجواب : لا يجوز وضع المال في بنك يتعامل بالربا ، لا وديعة ولا غيرها .

● *سُئل الشيخ : هل يجوز بيع حق استعمال الهاتف ، والذي حصل عليه من الحكومة ؟*

⊙ الجواب : لا يجوز ولو بما كلفه من مال ؛ لأن هذا الحق ملك الدولة .

● *سُئل الشيخ : عن حكم بيع عقود العمل ؟*

⊙ الجواب : لا يجوز ، ولا يشترى عقد عمل ، ولو كان محتاجًا ، ومن تركه لله عوضه الله .

● *سُئل الشيخ : عن حكم التورق (وهو شراء سلعة بالتقسيط وبيعها نقدًا بأقل لغير من اشتراها منه) ؟*

⊙ الجواب : التورق جائز .

● *سُئل الشيخ : عن حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؟*

⊙ الجواب : إذا تعين هو لتعليم القرآن كان واجبًا عليه ، ولم يجز له أخذ الأجرة على واجب . أما إذا لم يجب عليه بعينه تعليم القرآن يجوز أن يأخذ أجرة في حدود ما يكفيه من النفقات ، أما إذا لم يكن محتاجًا فلا يجوز أخذ الأجرة .

● *سُئل الشيخ : بعض الناس يتورع عن تجارة الذهب لكثرة المخالفات فيها ؟*

⊙ الجواب : هذا غلط ، بل يتاجر بالوجه الشرعي من غير ربا .

● *سُئل الشيخ : عن حكم أخذ الذهب بدون دفع قيمته ؟*

⊙ الجواب : إذا كان قيمته نقودًا لا يجوز . أما إذا أخذ ذهبًا مقابل بُرٍّ أو قماش فيجوز الأجل .

● *سُئل الشيخ : ما حكم البيع والشراء من الكفار ؟*

⊙ الجواب : كان النبي ﷺ يسوى بينهم ، وبين المسلمين في البيع والشراء ، وكان يشتري من اليهود مثل ما يشتري من المسلمين .

● *سُئل الشيخ : عن عورة المرأة المسلمة على المسلمة ؟*

⊙ الجواب : عورة المرأة المسلمة ما بين السرة والركبة ، مع العلم أن في المسألة أقوال أخرى ، ويصح للمسلمة أن تُرضع أمام المسلمة الأخرى .

● *سُئل الشيخ : عن عورة الأمة ؟*

⊙ الجواب : عورة الأمة من السرة إلى الركبة ، سواء كانت للخدمة أم ربة سرير للتسري ، وهذا ظاهر الآية في سورة ((الأحزاب)) ، وهو مذهب المالكية .

● *سُئل الشيخ : هل يصح أن تتزين المرأة بكامل زينتها وهي مغطاة بجلباب سابغ ، وتحته كحل وخضاب وحلي ، وكله مستور ؟*

⊙ الجواب : لا حرج في ذلك ، بل هي متزينة لزوجها وللنساء ، وليست متزينة للرجال الأجانب ، ما دام لا يبدو منها شيء فلا حرج . أما إذا كان الجلباب زينة في نفسه لكونه لامعًا ولافتًا للنظر ، فهذا يحرم .

● *سُئل الشيخ : ما تكشفه المرأة لمحارمها ؟*

⊙ الجواب : يجوز للمرأة أن تكشف لمحارمها ما يبدو عند الخدمة ؛ كالرأس ، والعنق ، واليدين ، والقدمين .

● *سُئل الشيخ : عن صفة العمامة النبوية ؟*

⊙ الجواب : صفة العمامة النبوية لفافة تلف حول الرأس (أو الغترة أو الشماغ) هو الخمار ، وكانت تلبسه النساء ، وليست واردة في السنة ، بل هي من باب العادات ، أما العمامة فهي الواردة في السنة .

● *سُئل الشيخ : عن لبس المرأة البنطلون ؟*

⊙ الجواب : إذا لبست المرأة البنطلون وفوقه ملابس سابغة فلا تشبه فيه بالرجال ، ما دامت تلبسه أسفل ، ولكن التشبه إذا لم تلبس فوقه شيئًا فيمنع .

● *سُئل الشيخ : هل يصح إهداء الحرير إلى قريب كافر ؟*

⊙ الجواب : يصح ، فقد فعله عمر رضي اللّه عنه ، واحتفاظ الإنسان بملابس خاصة للجمعة والمناسبات طيب ، وهو من فعل الرسول ﷺ .

● *سُئل الشيخ : عن ملابس الأطفال المرسوم عليها صور ؟*

⊙ الجواب : لا يجوز بيعها ولا شراؤها ، أما إلباس الأب طفله ثوبًا فيه صورة فلا بأس به ؛ لأنه ممتهنة ؛ لأنه يبول فيها .

● *سُئل الشيخ : عن شراء سجاد به صور ؟*

⊙ الجواب : السجاد لا يقصد شراء ما فيه صورة ، لكن إذا حدث وكانت في بيته وكذلك لعب الأطفال على شكل صورة من الممتهنة .

● *سُئل الشيخ : إرضاع المرأة طفلها أمام المرأة أو أمام محرم من محارمها ؟*

⊙ الجواب : يجوز لو كانت مسلمة ، أما كتابية فالأظهر ألا تكشف أمامها ؛ لقوله تعالى : ﴿ أو نسائهن ﴾ ظهور الأطراف الرجل إلى الركبة والذراعان أمام المحارم ليس بمحرم له أن يرى ، ما عدا ما بين السرة والركبة .

● *سُئل الشيخ : عن لباس الشهرة ؟*

⊙ الجواب : لباس الشهرة هو اللباس الذي يجعلهم يضحكون عليك ويستهزئون بك ولو لبست كما يلبسون فلا حرج .

● *سُئل الشيخ : هل لبس البنطلون أو لبس الساعة في اليسار يعتبر من التشبه بالكفار ؟*

⊙ الجواب : اللباس الذي يعتبر تشبهًا بالكفار هو الذي من خصائصهم ، بحيث لو رآك أحد به حسبك كافرًا ، أما ما عدا ذلك فيجوز .

الحسبة في ...

إعداد / د. زيد بن محمد الرماني
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحسبة هي أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهيٌ عن المنكر إذا ظهر فعله ، ثم تطور هذا المفهوم حتى أصبح وظيفة دينية ؛ من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعيّن لذلك مَنْ يراه أهلاً له ، فيتعين فرضه عليه ، ويتخذ الأعوان على ذلك .

وصارت الحسبة علمًا باحثًا عن الأمور الجارية بين أهل البلد في معاملاتهم ؛ لذا شملت جميع مظاهر الحياة دينية ودنيوية ، كما شملت الأخلاق الفردية والقيم الاجتماعية والمعاملات .

حيث دخلت في دواوين السلاطين ومجالس القضاة ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية ، وخانات الأسواق والشوارع والحمامات والمساجد والبيوت والكتاتيب وغير ذلك .

بل ، لقد صارت هذه الوظيفة أساسًا لوظيفة البلديات ، بل ربما قامت بأعمال نظام ودواوين الصحة والشرطة ، إضافة إلى أعمال البلديات .

يقول د . حسين علي محفوظ في بحثه المتميز « الحسبة في المكتبة العربية » : كانت الحسبة تجمع أطرافًا من اختصاص وزارة الداخلية والصحة والمالية والعدل والاقتصاد والشئون الاجتماعية والتربية والتعليم .

وتقترن بالبلدية والتفتيش والرقابة ومتابعة الغش والتدليس وتتبع الوزن والكيل والقياس ...، وهي كل أولئك من قبل .

ونظرًا لتشعب مهام ولاة الأمور وتعقدها وجب على ولي الأمر أن يعهد بمهمة الحسبة إلى من يأتمنه عليها ممن يحسن اختيارهم للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم وابتياعاتهم ومأكولهم ومشروبهم وملبوسهم ومساكنهم وطرقاتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

يقول صالح مهدي عباس في بحثه النفيس « من رجال الحسبة » : ولما كان علم الاحتساب من أدق العلوم ، ولا يدركه إلاَّ من له فهم ثاقب وحدس صائب ، إذ الأشخاص والأزمان والأحوال تتغير من زمن إلى آخر ومن مكان لآخر ومن حال لأخرى ، لذلك اشترط في المحتسب مقومات خاصة .

وقد أجمع علماؤنا على شروط خاصة في المحتسب ، وردت في معظم كتب الحسبة ، ومن ذلك:

١- أن يكون المحتسب مسلمًا بالغًا عاقلاً حرًا عدلاً .

٢- أن يكون ذا رأي وصرامة عارفًا بأحكام الشريعة .

المدينة الفاضلة

٣- أن يعلم ما يأمر به وما ينهى عنه .

٤- أن يكون مواظبًا على سنن رسول الهدى عليه الصلاة والسلام .

٥- أن يقصد بقوله وفعله وجه اللّه تعالى وطلب مرضاته ، خالص النية .

٦- أن يكون رفيقًا ، لين القول ، طلق الوجه .

يلاحظ في كتب الحسبة أن المحتسب يحتاج إلى معرفة أحكام العبادات والمعاملات والمباح والمحرم والحلال والحرام .

ويحتاج إلى معرفة الصنائع والوقوف على جيدها ورديئها ، وخالصها ومغشوشها ، كما تحتاج إلى الإلمام الكافي بالحرف والصناعات والصناع البارزين والمحترفين .

ويلاحظ أن الحسبة تؤكد التقوى في المعاملة ، والتقوى في العمل ، والتقوى في البيع والشراء ، وعدم الغش والرفق في البيع ، وعدم إدخال الرديء في الجيد ، والنصح في الصناعة وعدم التدليس وعدم الخيانة وحسن الصنعة وحسن المعاملة والنظافة وتغطية الأواني وعدم التنقيص والتأني والأمانة وعدم الشيطنة والصدق والجودة والإصلاح وحسن العمل والائتمان واجتناب المنكرات والمحرمات ، وعدم تعاطي المحرم ، ورعاية الكيل والميزان والقياس والدقة في الحساب .

يقول د . حمدان الكبيسي في بحثه المعنون بـ « الهيكل التنظيمي لجهاز الحسبة » : إنّ جهاز الحسبة يستهدف منع الغش في الصناعة والإنتاج ، ومنع الحيلة والتدليس والبخس في الكيل والمعاملات ، كما أصبح مسئولاً عن تنظيم جلوس الباعة في أسواقهم ودكاكينهم ، بحيث جعل لأهل كل صنعة منهم سوقًا يختص بهم ، الأمر الذي سهل مهمات جهاز الحسبة .

ومن ثم ، فلا عجب حين يُقال : إن الحسبة سمة حضارية ، بل عدّها أكثر من مفكر وباحث أحد معالم الحضارة الإسلامية ، فليس معروفًا أن العرب قبل الإسلام ، أو أي أمة أخرى كان لها ما يماثل نظام الحسبة في الإسلام .

ومن دقة الحكام والعلماء المسلمين أنهم لم ينسوا ناحية من نواحي الحياة الخاصة أو العامة إلا وقيدوها بما يرضي اللّه سبحانه ، ثم الناس .

يقول ضياء الدين بن الأثير في كتابه الشهير « المثل السائر » : إنّ الحسبة في الإسلام قد غطت جميع أعمال الناس ، ولم يبق إلا أن يكون للكتابة محتسب ، فلا يُكتب ولا يُنشر أي فكر خسيس هدّام بين القراء .

إن المدينة التي تتحقق فيها الحسبة والاحتساب لهي المدينة الفاضلة التي كان يحلم بوجودها الحكماء منذ قديم الزمان .

والحمد للّه رب العالمين .

أسائل الدار

بقلم الشيخ / محمد عبد الحكيم القاضي

أسيرُ فوقَ جبال الشوك بالقَدَمِ ... وأستقى من بحار الشك ملءَ فمي
هذا يُقِضُّ منامي كلما هجعت ... إلى الرقاد جفوني أو هوت قدمي
وذاك يؤذي جبيني كلما انصرفت ... إلى الحياة همومي واستوت هممي
تطوي بنا إبل الأوهام أودية ... من الضياع بلا رحل ولا خُطُم
تطوف حول مَراعٍ كلها وخمٌ ... لكنها من فراغ البطن في تَخَم
مالت بنا وسوادُ البيد يحدجنا ... إلى ديار لسلمى عند ذي سَلَم
كانت لدى الأمس ملأى من توددها ... منيرة بجبين مشرقٍ وفمِ
ثريةً بغناء الطير ساحتُها ... طريةً من حديث طيبِ النغم
فأصبحت وقد اربدَّت نضارتُها ... وضلَّ عنها الضيا في حالِكِ الظُّلَمِ
كأنما الشمس ما غدت تراودها ... ولا النهار ولا هطالة الدِّيَم
أمَسٌّ بالكف أشلاءً مبعثرة ... وتنظر العين أطلالاً على أطم
أُسائلُ الدار عن خِلٍّ أقام بها ... غَضِّ الوفاء كريم غير متهم
أُسائل الدار عن معنى الوداد إذا ... ضاع الوفاءُ وغالته يد التهم
أُسائل الدار عن طعم السلام وقد ... غالت حمائمه هتاكة الحُرَم
أُسائل الدار عن قول بلا عمل ... وعن فريق بلا رأس ولا حكم
وعن قطيع بطبع الذئب في دمه ... وعن رعاة بلا رأي ولا حلم
وعن ضياع فما في الأرض من أُمم ... إلا اشتكت من خراب القلب والذمم
وعن جياع على أجسادهم رُفعت ... حضارة الزيف والأوهام والنقم
أُسائل الدار من بالدار يسمعني ... إذا شكوت إليها قاطع الرَّحِم
يا دار يا ثرة الأرجاء صاخبة ... من ذا الذي قد رماك اليوم بالبكم
رأيت يا دار ما لم تعهدي أبدًا ... من الضلالات والآثام والغمم
وراوحتك الرياح الهوج راغمة ... وطوحتك السفوح السودُ بالحممَ
وأنبتت فيك بيد الزور سوسنها ... فأمطرته السحاب الجوف بالعدم
يا دار ماذا رأت عيناك بعدهم ... غير اختلاط الزمان المرِّ بالظلم
وصولة الكذب المغرور حين رأى ... جحافل الحق غالتها يد السقم
وهل رأت عينك المظلوم في صفدٍ ... يسوده الظالم الأفاك في نعم
يا دار هل في حساب الدهر من نكدٍ ... فوق الذي نحن فيه اليوم أو ألم
مدامعي شرقت من أدمعي وغدت ... دفاتري حمما من غضبة القلم
أسائل الدار عن سيف أذود به ... غوائل الزمن الأفاك عن حرمي
أسائل الدار عن شعر أُريح به ... قوافل الهم في صدري وفي حلمي
أسائل الدار عن دار ألوذ بها ... مدافعًا غارة الأعداء عن شممي
أسائل الدار عن قبر أدس بها ... ما قد تبقى لنا من طيب الشيم
أسائل الدار عن دمع تسامحني ... أمي به إن رأتني خائر الهِمَم

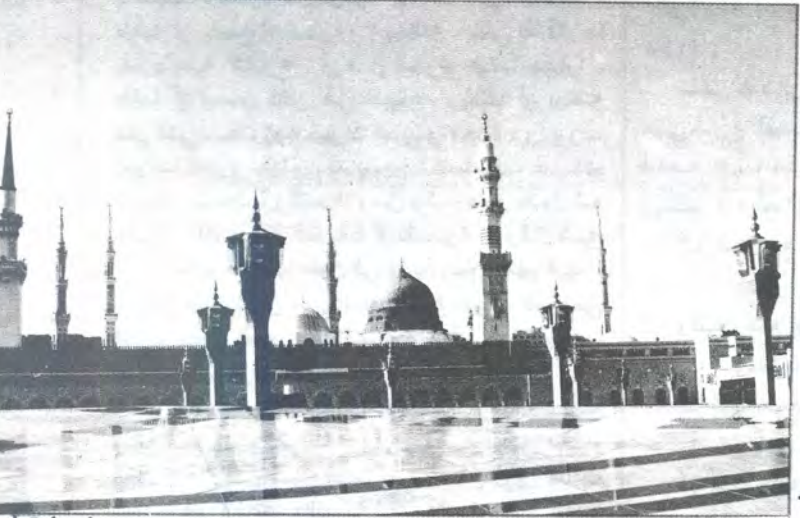

مدد الشيخ

بقلم عميد متقاعد / محمود المراكبي

الحمد لله السابق فضله على جميع من خلق ، والقائل في محكم التنزيل : ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٠] ، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . وبعد :

فمن أكثر الألفاظ انتشارًا بين أبناء الطرق الصوفية : (مدد يا سيدي فلان) ، وكلمة : (مدد) يراد بها : أن فلان هذا هو مصدر الإمداد بالبركات والأنوار والفيوضات والفتوحات ، وأن طلب المدد من الشيخ يحتاج إلى : إخلاص ، وصدق ، وحب ، وما إلى ذلك من أمور ، والشيخ - عندهم - بصفته ولي من أولياء الله ؛ فقد أوكل الحق ، تبارك وتعالى ، إليه إمداد أبناء الطريق ، ولا بد للمريد من التيقن أن مدد شيخه واصل إليه لا محالة ، خاصة عند الشدائد ، سواء في الدنيا أو عند الموت والسؤال في القبر ، ثم ينعم المريد بحماية شيخه يوم الهول الأكبر .

وقد زعم بعض المشايخ أنهم لا يمدون أبناء طرقهم فحسب ، أو الصوفية وأتباعها ككل ، بل إنهم يتعهدون العالمين ، ومنهم أبناء الطريقة الدسوقية والتجانية التي ننقلها عن « الياقوتة الفريدة في الطريقة التجانية لمحمد بن عبد الواحد محمد النظيفي ٨ » بعض مناقب شيخهم أبا الفيض التجاني يقولون فيه :

وإني كنيته أبا الفيض إنه
يمد جميع العالمين بفيضة
فكل ولي كيف كان ببحره
أمد بقدر ما له من فضيلة
من أول نشأة العوالم كلها
إلى النفخ يسقي كل فرد وذرة
فما فاض من ذات النبي محمد
تلقته ذات الختم دون وسيطة
كما تتلقى كل فيض من أنبيا
ورسل عليهم جميعًا تحيتي
فمنها تفرقت فيوض الخليقة
فما ذرة إلا وفازت بقسمة

لا نستطيع أن نعلق على هذه الترهات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وكيف تقبل أتباع هذه الطرق إملاء الشيطان بهذا القدر من الشرك والكفر ، وكيف سمحت لهم عقولهم بتصديق هذه المزاعم التي ترفع شيخهم إلى رتبة الربوبية !!

مدد الشيخ في الدنيا :

إذا حجب الشيخ المريد وعزله عن العلم وأسبابه ، حذره من توجيه الأسئلة في مجلسه ، طالبه أن يفسح له صدره ولا يخالفه ، حتى إذا قال ما ينكره عليه الشرع ، أو فعل الحرام عيانًا جهارًا ، طالبه أن يحسن الظن في شيخه ، ويعتقد أن بركته هي التي ساقت إليه خيرات الدنيا والآخرة ، وأعرف شيوخًا للطرق يقولون لمريديهم : كلما زادت خدماتكم لشيخكم اتسعت أرزاقكم !! ومن يناله ضر يقول له الشيخ : ذلك جزاء عصيانك أو تقصيرك !! وقال شيخ أعرفه لمريد مشاغب سُجن في قضية رشوة اتهم فيها : إن هذا السجن كان من غضب الشيخ عليه ، فاستحق المريد دخول السجن ، فكأنها قرصة أذن من الشيخ ، ثم قال له بالحرف الواحد : ((وإن عدتم عدنا)) !!

إن المريد مطالب بحسن الاعتقاد في شيخه ، مع بالغ التعظيم والتنزيه ، وأن يرفعه فوق مقام القطبانية ، فكل شيخ قطب لمريده ، بل إن شئت قلت : هو الخضر بالنسبة له ، فشيخه هو العبد الرباني الذي يقول للشيء : كن فيكون ، وهو عضو بارز في ديوان التصريف ، فلقاء المريد وتلقيه عن شيخه يمنحه حماية ظاهرة وباطنة ، ولا تنتهي هذه الحماية بنهاية حياة الشيخ أو المريد ، بل هي ممتدة في عالم الأرواح إلى قيام الساعة ، فلا غرابة أن يصرح إبراهيم الدسوقي بقوله : (أشهدني الله تعالى ما في العلى وأنا ابن ست سنين ، ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنوات ، وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين ، ورأيت في السبع المثاني حرفًا معجمًا حار فيه الجن والإنس ففهمته ،

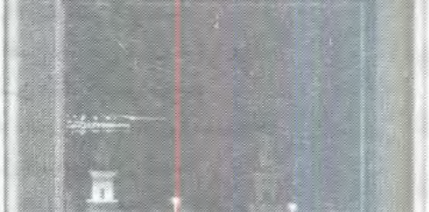

وحمدت الله رب العالمين على معرفته ، وحرَّكْتُ ما سكن ، وسكنت ما تحرك بإذن الله وأنا ابن أربع عشرة سنة) . ((الطبقات الكبرى)) للشعراني : (١: ١٢٨) .

تحكي هذه الرواية مراحل حياة إبراهيم الدسوقي حتى شرخ الشباب ، أما شأنه في عالم الأرواح فتقصه علينا هذه الحكاية التي نظمها عن نفسه ، وينقلها عنه أحبابه في الطريق :

أنا كنت مع نوح أشاهد في الورى
بحارًا وطوفانًا على كف قدرتي
وكنت مع إبراهيم مُلقى بناره
وما بَرَدَ النيران إلا بدعوتي
أنا كنت مع راعي الذبيح فداءه
وما نزل الكبشان إلا بفتوتي
أنا كنت مع يعقوب مُلقى بناره
وما بَرئت عيناه إلا بتفلتي

فإذا بلغ تصرف الدسوقي في حماية الأنبياء هذا المدى ، فهو ربان سفينة نوح ، ومن بركة دعائه بردت النيران على إبراهيم الخليل ، وبفتوته أنقذ الله إسماعيل من الذبح ، وبإمداده برئت عينا يعقوب عليه السلام ، فكيف لا يركن إليه أبناء الطريق ؟ ولا غرو أن يقول الدسوقي في قصيدة أخرى :

كل كرم لله في الأرض ملكي
منه فضلا سبحانه من قدير
يا وزيري جُزت السماء بأمي
وأبي كان صحبتي وسميري
عاينتني الأملاك وقت مسيري
حين تخفى الأنوار من ضوء نوري
طاب وقتي بين الرجال وأنسي
فاح ريح بطيبه كالعبير
يا وزيري يكفيك من سر سري
حول ربعي في الليل ذكر الطيور[1]

ولا تنتهي الكرامات المزعومة للمشايخ ، ومنها ما يرويه الشعراني في ((طبقاته)) (١: ١٣٥) عن

---

(١) ((الحزب الكبير والصغير)) لإبراهيم الدسوقي ص (١٧) .

الشيخ عبد الرحيم القناوي الذي : (كان إذا شاوره إنسان في شيء يقول : أمهلني حتى أستأذن فيه جبريل عليه السلام ، فيمهله ساعة ، ثم يقول له : افعل ، أو لا تفعل ، على حسب ما يقول جبريل) !!

وبعض المشايخ لا يحتاج إلى ساعة حتى يستفتي جبريل ؛ لأنه مطلع على اللوح المحفوظ ، ومنهم الشيخ جاكير الذي يقول : (ما أخذت العهد قط على مريد حتى رأيت اسمه مكتوبًا في اللوح المحفوظ) .

وقد لاحظ الشيخ إبراهيم المتبولي أن أحد أبنائه في الطريق لا يتقدم بالمعدل الذي يريد ، فسأله قائلاً : (ما لي أراك كثير العبادة ، ناقص الدرجة ، لعل والدك غير راض عنك ؟ فقال : نعم ، قال : تعرف قبره ؟ فقال : نعم ، قال : اذهب بنا إلى قبره لعله يرضى ، قال الشيخ يوسف الكردي راوي هذه الرواية : فوالله لقد رأيت والده يخرج من القبر ينفض التراب عن رأسه حين ناداه الشيخ ، فلما استوى قائمًا ، قال الشيخ : الفقراء جاءوا شافعين ، تطيب خاطرك على ولدك هذا ، فقال : أشهدكم أني قد رضيت عنه ، قال : ارجع مكانك ، فرجع قبره) . ((الطبقات الكبرى)) للشعراني (٢: ٧٨) .

إن الشيخ المتبولي بهذا التصرف يتصدى لأصل القضية ، ويعالجها من جذورها ! ولا يمنعه موت الرجل أن يبعثه ويسترضيه على ولده فيرضى عنه فيتحسن سلوك ولده في الطريق !! أي ذهن مشوش صاغ هذه الحكاية ؟ وأي سذاجة تلك التي دفعت الشعراني إلى الاحتجاج بها ؟ وأي جاهل يخشى من الخطر عليه إن هو أنكر هذه البلاهة وتلك البلايا ؟!

مدد الشيخ عند الموت :

بعد رسوخ فكرة مدد الشيخ في الفكر الصوفي كما أسلفنا توسع الأمر ليشمل وقوف الشيخ إلى جانب مريده والدفاع عنه في أحلك المواقف ، ألا وهي لحظات قبض الروح ، وسنرى أيضًا دور الشيخ عند سؤال المريد وفتنته في قبره ، ومن أغرب الروايات التي يمكن أن يقرأها المرء في كتب القوم ما يرويه الشعراني في ((طبقاته الكبرى)) قائلاً : (مرض ابن للشيخ محمد الشربيني ، وأشرف على الموت ، وحضر عزرائيل عليه السلام لقبض روحه ، فقال الشيخ لعزرائيل : ارجع إلى ربك فراجعه ، فإن الأمر نُسِخ ، فرجع عزرائيل ، وشفي ولده ، وعاش بعدها ثلاثين عامًا) !!

وبهذا نرى كيف أنقذ الشيخ الشربيني ملك الموت من ارتكاب خطأ كبير ، فأمر قبض روح ولده نسخ ، ولم يعلم به ملك الموت وعلمه الشربيني ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وربما تكون القصة التالية أكثر غرابة من سابقتها ، حيث يُروى أن : (الشيخ مدين مرض مرة أشرف فيها على الموت ، فوهبه الشيخ محمد الشويمي من عمره عشر سنوات ، (ثم مات الشيخ مدين بعد هذه السنوات العشر) في غيبة الشيخ الشويمي ، فجاءه وهو على المغتسل ، فقال : كيف مت ؟ وعزة ربي لو كنت حاضرك ما خليتك تموت ، ثم شرب ماء غسله كله) . ((الطبقات الكبرى)) للشعراني (١: ٩٤) .

ويروي يوسف النبهاني في ((جامع كرامات الأولياء)) (٢: ٢٤٥) : أن عبد الله باعلوي دَفَنَ مريدًا له ، ثم جلس على قبره ساعة ، فتغير وجهه ، ثم ضحك واستبشر ، فسُئل عن ذلك ، فقال : (إن الرجل لما سأله الملكان عن ربه ، قال : شيخي عبد الله باعلوي ، فَتَعبْتُ لذلك ، فسألاه أيضًا فأجاب بذلك ، فقالا له : مرحبًا بك وبشيخك عبد الله باعلوي) !! ويعلق بعض الصوفية قائلاً : هكذا ينبغي أن يكون الشيخ يحفظ مريده حتى بعد موته .

إذن ليس من العجيب من أن ينتشر بين الصوفية أن أهم دور يلعبه الشيخ في حياة المريد هو تثبيته عند سؤال الملكين في القبر ، وانظر يا أخي إلى إجابة المريد عندما سُئل : من ربك ؟ حيث قال : شيخي فلان ، والغريب أن يقص الشيخ هذه الكرامة على أبنائه ليعلمهم كيف يكون سؤال الملكين ، ويلقنهم الرد الصوفي المناسب .

ويقرر أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني تلك المفاهيم حين يقول : (من الأولياء من ينفع مريده الصادق بعد موته ، أكثر مما ينفعه حال حياته ، ومن العباد من تولى الله تربيته بنفسه بغير واسطة ، ومنهم من تولاه بواسطة بعض أوليائه ولو كان في قبره ، فيربي مريده وهو في قبره ، ويسمع مريده صوته من القبر) .

ويكرر الشعراني نفس المفاهيم في ((الطبقات الكبرى)) (١: ٩) ، فتراه يجامل علماء الشريعة بقوله : (إن أئمة الفقهاء أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد يشفعون في مقلديهم ، ويلاحظون أحدهم عند طلوع روحه ، وعند سؤال منكر ونكير ، وعند النشر والحشر والحساب والميزان والصراط ، ولا يغفلون عنهم في موقف من المواقف) .

ثم يستطرد قائلاً : (إذا كان مشايخ الصوفية يلاحظون أتباعهم ومريديهم في جميع الأهوال والشدائد في الدنيا والآخرة ، فكيف بأئمة المذاهب الذين هم أوتاد الأرض ، وأركان الدنيا ، وأمناء الشارع على أمته) .

مدد الشيخ بعد الموت :

يعتقد الصوفية أن المريد ببركة شيخه قد يقطع المقامات ويرقى الدرجات بعد موته وهو في عالم البرزخ ، كما أن المشايخ إذا ماتوا يتصرفون وهم في قبورهم في أحوال مريديهم ، وأعرف خليفة من خلفاء الشيخ يُظْهِرُ لمريديه أنه لا يتحرك إلا إذا استأذن شيخه الذي مات منذ عقدين من الزمان ، ومن جرأة الرجل أن يُقسم أن شيخه لا يفارقه طرفة عين ، وقد أقام الدنيا ولم يقعدها بعد عندما قال له بعض قرنائه : (إن الشيخ مات ودفن) . فراح يؤكد لهم أن الشيخ يحيى معه ولا يفارقه ، وأنه يتلقى عنه مشافهة ، ولا يتركه في صغير ولا كبير ، لذا تراه يشير إلى هذه القضية في قصيدته المسماة بـ ((العيونية)) في ((ديوان الأسير)) لصلاح الدين القوصي في مدح شيخه محمد إبراهيم أبو العيون (١٨٣) ، فيقول :

وقلت لهم يقينًا إن شيخي
معي كالليث يربض بالعرين
وليس كما زعمتم غاب عني
ولست مصدقًا إلا عيوني
وبعد اللّه ثم رسول ربي
فلست بمرتج إلاه عوني
له أمر ونهي في فؤادي
وإرشاد لفعل أو سكون
يلي أمري بأسرار ونور
وألوان المعارف والفنون
فما مات الذي بالحي يحيا
وإن كالناس ذاق من المنون

لهذا يُعظم الصوفية القبور ، فالشعراني في ((درر الغواص في فتاوى الخواص)) (٢: ٨١) يجعل للأضرحة دوريات للحراسة يسميهم أصحاب النوْبَة ، ويقول في إحدى شطحاته : إنه استأذن هو وأخوه أفضل الدين شيخها الخواص في زيارة القرافة ، فقال لهما : (ما معكما دستور ، فإن أصحاب النوبة اليوم من بلاد المشرق ، ما هم من أهل مصر ، فنسينا قول الشيخ وذهبنا ، فحصل لنا انحراف في القلب ، ما كنا إلا هلكنا ، أما أنا ففارقته من بعض النواحي ، فلقيت واحدًا من أصحاب النوبة ، فما كانت روحي إلا أن زهقت ، وأما أخي أفضل الدين فاجتمع بأربعة نفر منهم على الهيئة التي وصفها لنا الشيخ ، فمنهم اثنان سألا له العافية ، والآخران حصل منهما المثاقلة ، فقال لهما : اللّه ورسوله أقوى منكما فذهبا ، فلما رجعنا وحكينا للشيخ ذلك ، قال : الحمد للّه الذي ما صدفكما إلا هؤلاء ، ولو صدفكما أحد من كبار أصحاب النَّوْبَة لهلكتما ؛ لأنه لا طاقة لأحد بهم ، فلو توجهوا لجبل لهدموه) .

مدد الشيخ يوم القيامة :

يستخدم كثير من المشايخ الكرامات والمناقب لإثبات قدرتهم على نفع المريد في الدنيا والآخرة ، وسنضرب مثالاً من الطريقة التجانية ، حيث يقول التجاني في ((الدرة الخريدة)) (٤: ٢٦) : (ومن أخذ الورد المعلوم الذي هو لازم الطريقة ، أو عمن أذنته يدخل الجنة هو ووالده ، وأزواجه وذريته المنفصلة عنه ، لا الحفدة بلا حساب ولا عقاب ، بشرط ألا يصدر منهم سب ولا بغض ولا عداوة ، وبدوام محبة الشيخ ، بلا انقطاع إلى الممات) .

ويقول أحد خلفاء التجاني في ((رماح حزب الرحيم)) (١: ٥١) عن شيخه : (وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ، ولو عملوا من الذنوب ما عملوا ، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا ، ووراء ذلك ما ذكره لي فيهم وضمنه لي ﷺ أمر لا يحل ذكره ، ولا يُرى ولا يُعرف إلا في الآخرة) .

وقال مؤلف ((بغية المستفيد)) (٢٧٣) : (إن من جملة ما ذكره سيده (التجاني) من فضل هذا

الورد العظيم عن نبينا المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، أن كل من أخذه عن الشيخ أو عمن عنده الإذن الصحيح في التلقين ، يكون مقامه ومستقره من فضل الله تعالى في أعلى عليين بجوار سيد المرسلين ، وإمام المتقين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ، ويغفر الله له تعالى بفضله من ذنوبه الكبائر والصغائر ، وتؤدى عنه التبعات من خزائن الرب المجيد القادر ، ولذلك كان آمنًا من أن يروعه هول المحشر ، أو يؤلمه ضنك القبر ، وأزواجه وأولاده المنفصلون عنه دنية ، وكذا أبواه داخلون معه في هذا الخير الجزيل ، بشرط ألا يصدر بغض من الجميع في هذا الشيخ الجليل ، وجانبه الأعز المنيع) .

إن ما ذكرناه من إيمان المريدين بمدد مشايخهم أمر ثابت في معظم الطرق الصوفية ، فالشاذلي قد اختار المريدين من اللوح المحفوظ ! والجيلاني يحمي مريده في كل المواقف وأصعب الأحوال في الدنيا والآخرة ! ومدد البدوي عند القوم لا يشمل المريدين فقط ، بل كل من زار ضريحه ، وإن ارتكب الكبائر ! وهذا النجاني يتعهد عائلة المريد بالرضوان الأكبر فقط إذا أحبوه ولم يعترضوا عليه !!

الفتح الصوفي :

تبدو هاوية علوم الباطن عند الصوفية عميقة الأغوار حين يتحدثون عن الفتح الأكبر ، ولا يمنع الناس من هذا الفتح إلا حجاب النفس ، فمن قام بتأديبها ونفى عنها الأغيار ، يأتيه الفتح ، ويصف الدباغ في « الإبريز » (ص ٩) كيف حدث له الفتح بدقة شديدة ، فيقول : (فاشتد عليَّ الحال ، وجعل صدري يضطرب اضطرابًا عظيمًا ، حتى كانت ترقوتي تضرب لحيتي ، فقلت : هذا هو الموت من غير شك ، ثم خرج من ذاتي شيء كأنه بخار الكسكاس ، ثم جعلت ذاتي تتطاول حتى صارت أطول من كل طويل ، ثم جعلت الأشياء تتكشف لي وتظهر كأنها بين يدي ، فرأيت جميع القرى والمدن والمداشر ، ورأيت كل ما في هذا البر ، ورأيت النصرانية (مريم عليها السلام) تُرضع ولدها وهو في حجرها ، ورأيت جميع البحور ، ورأيت الأرضين السبع وكل ما فيهن من دواب ومخلوقات ، ورأيت السماء وكأني فوقها وأنا انظر ما فيها ، وإذا بنور عظيم كالبرق الخاطف الذي يجيء من كل جهة ، فجاء هذا النور من فوقي ومن تحتي وعن يميني وعن شمالي وعن أمامي وخلفي ، وأصابني منه برد عظيم ، حتى ظننت أني مت ، فبادرت ورقدت على وجهي لئلا أنظر إلى ذلك النور ، فلما رقدت رأيت ذاتي كلها عيونًا ، والعين تبصر ، والرأس تبصر ، والرجل تبصر ، وجميع أعضائي تبصر ، ونظرت إلى الثياب التي عليَّ ، فوجدتها لا تحجب ذلك النظر الذي سرى في الذات ، فعلمت أن الرقاد على وجهي والقيام على حد سواء ، ثم استمر عليَّ ساعة ، وانقطع وصرت بمثابة الحالة الأولى التي كنت عليها أولاً) .

ومن التكاليف التي يتحملها أصحاب الفتح الصوفي أن يقوموا بدوريات على الكون للاطمئنان على سير الأمور ، وها هو الشعراني يفرد لكراماته مجلدًا ضخمًا يسميه : « لطائف المنن » المعروف بـ « المنن الكبرى » ، ويشرح في (ص ١٧٤) مهمته التفتيشية اليومية على الكون التي كُلف بها بعد أن رُزق الفتح فيقول : (وصورة طوافي كل ليلة على مصر ، وجميع أقاليم الأرض ، وأنني أشير بإصبعي إلى أزقة المدائن والقرى والبراري والبحار ، وأنا أقول : الله ، الله ، الله . فأبدأ بمصر العتيقة ، ثم القاهرة ، ثم بقراها ، حتى أصل إلى مدينة غزة ، ثم القدس ، ثم إلى الشام ، ثم إلى حلب ، ثم إلى بلاد العجم ، ثم البلاد التركية ، ثم بلاد الروم ، ثم أعدي من البحر المحيط إلى بلاد المغرب ، فأطوف عليها بلدًا بلدًا ، حتى أجيء إلى الإسكندرية ، ثم أعطف منها إلى دمياط ، ثم منها إلى أقصى الصعيد ، ثم إلى أقصى بلاد العبيد ، ثم إلى بلاد الرجر ، وهي إقطاع جدي الخامس ، ثم أعطف إلى بلاد التكرور ، وبلاد السكوت ، ومنها إلى بلاد النجاشي ، ثم إلى أقصى بلاد الحبشة وهي سفر عشر سنين ، ثم منها إلى بلاد الهند ، ثم إلى بلاد السند ، ثم إلى بلاد الصين ، ثم أرجع إلى بلاد اليمن ، ثم إلى مكة ، ثم أخرج من باب المعلى إلى الدرب الحجازي إلى بدر ، ثم إلى الصفراء ، ثم إلى مدينة النبي ﷺ ، فأستأذنه عند باب السور ، ثم أدخل حتى أقف بين يديه ﷺ ،

فأصلي وأسلم عليه وعلى صاحبيـه ، وأزور البقيع ، ثم أقول : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات : ١٨٠- ١٨٢] ، وما أرجع إلى داري بمصر إلا وأنا ألهث من شدة التعب ، كأني حاملاً جبلا عظيمًا ، ولا أعلم أحدًا سبقني إلى مثل هذا الطواف ، وكان ابتداء حصول هذا المقام لي في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ، فرأيت قبور المشايخ من فوق أضرحتهم إلا ضريح أحمد البدوي ، وضريح إبراهيم الدسوقي ، فإن المحفة (لعله يقصد بساط الريح) نزلت بي من تحت عتبة كل من أحدهما ، ومرت من تحت قبره) .

وهكذا نرى مهمة الأقطاب وديوان التصريف وأحوال المشايخ عقيدة أصيلة عند الصوفية ، لم يفتريها عليهم أعداؤهم ، وإنما كتبوا حروفها بأنفسهم وسطروها في كتبهم ، وليس غريبًا أن نجد تماثلاً كاملاً بين قطب الصوفية وإمام الشيعة وحجة الإسماعيلية وبابها ، ومن هذا كله ندرك دقة العبارة التي كتبها الدكتور الغنيمي في أطروحته للدكتوراه ، والتي يقول فيها : (إن المصدر الشيعي والإسماعيلي هو أصل لكل أفكار التصوف الإسلامي) ، ونحن نضيف إليها : إن جذور التصوف استقت من الشيعة والإسماعيلية وامتدت أيضًا إلى الفلسفة الأفلاطونية ، والعقيدة المسيحية ، وأفكار الفلسفة اليهودية) .

إلا أن أخطر آداب الصوفية ضررًا على عقيدة المسلم - وهي المقصودة في رأيي من كل هذا - هي الأوراد ، فالمشايخ لم يكتفوا بتحريم الحلال وتحليل الحرام كما فعل الأحبار والرهبان باليهود والنصارى ، وإنما حصروا المريدين في أوراد ألفوها من عند أنفسهم ، واستعملوا أسلوب التدريج في تلقينها للمريد ، فالورد في أول الطريق يتضمن آيات قرآنية وأدعية نبوية ، وبالتالي لا يرى المريد في طريقه ما ينكره ، وإذا شرح العلماء مزالق الصوفية ، خاطبك المريد السالك في أول سلوكه ، بأن طريقه ليس فيه ما يزعمونه ، فإذا ظهر من المريد الهمة والالتزام بالحضرات والأدب مع الشيخ ، رقاه إلى مرتبة أعلى وكلفه بأوراد أكثر ، وهكذا على ثلاث أو سبع أو أحد عشر مرتبة حسب الطريق الذي يسلكه المريد ، وتبدأ الأوراد بالإشارة ، ثم بصريح العبارة عن حقيقة مفاهيم الصوفية وعقيدتها ، وهي : وحدة الوجود ، والحقيقة المحمدية ، والذكر بالأسماء السريانية ، وقراءة قصائد التوسل بالمشايخ وسلسلة رجال الطريق وآل البيت وهكذا ، حتى يجد المريد نفسه في النهاية - إلا من رحم ربي - يتعبد الله عز وجل بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان ، ومن موجبات الفتن أن تكثر رؤى المريد وأحلامه في هذه المرحلة ، فلا يخلو الأمر من منامات يلتقي فيها بالمشايخ ، ويرى فيها المرائي التي يثبت بها من الطريق الذي يسلكه ، وربما ظن أنه أصبح من الأولياء ، وقد رأيت أمثلة كثيرة لأناس لا يعرفون من الدين أحكام الطهارة ، ولا كيف تصح عبادتهم لله عز وجل ، ثم تراه بعد أن يُلَقَّن الطريق وتواترت عنده الاحلام والمنامات لبس ثوب الأولياء ، وراح يحدثك عن المهدي المنتظر ، ومتى سيظهر وعلاماته ، وربما راح يخبر الناس بالغيب والكشف حسب الاصطلاح الصوفي ، ولو سقت له الدليل من الكتاب والسنة لا يقابلك في نهاية الأمر إلا بثقته المطلقة في شيخه والأحلام التي رآها هو أو رآها غيره من المريدين ، وتصبح الأوهام والأحلام وأحاديث النفس في النهاية الحجة والدليل على صدق سلوكه ويقينه بصحة طريقه ، لو ناقشت أحدهم وشرحت له أنواع الرؤى وقسمتها إلى ثلاثة أنواع في الحديث المتفق عليه الذي أخرجه البخاري في كتاب الرؤيا ، باب : القيد في المنام ، ومسلم في « صحيحه » ، والترمذي والنسائي وابن ماجه عن رسول الله ﷺ الذي يقول فيه : « الرؤيا ثلاث : فرؤيا حق ، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ، ورؤيا تحزين من الشيطان » لا يجد المريد لذلك صدى في نفسه ، ويلوي هو أو شيخه معاني الآيات ومقاصد الحديث حتى يعرض لك عكس المراد من الدليل ، ولا يسمح لنفسه إلا بالزوغان والانفلات ، وفي النهاية لا يستند الطريق الصوفي إلا على مجموعة من الأحلام ، وكثير من الكرامات والأحوال ، ومكاشفات المشايخ والظنون والأوهام ، وبالتالي حل الكشف والإلهام محل الكتاب والسنة . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

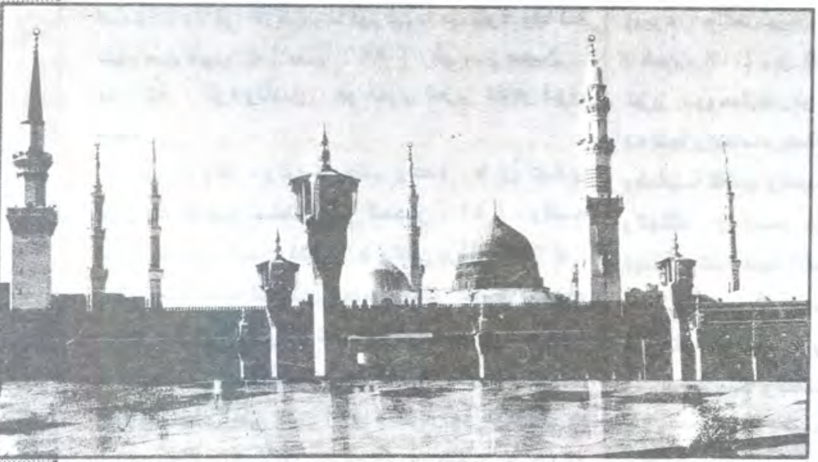

فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

بقلم الشيخ / أحمد طه نصر

بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، استفتاح بالذي هو خير ، واستمطار لرحمة الله ، واستعانة به عز وجل ، فما للعباد من دونه تبارك وتعالى من وليٍّ ، ولا يُشركُ في حكمه أحدًا .

يقول عزَّ من قائل كريم : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦] ، ويقول ربُّ العالمين محذرًا : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] ، ويذكِّر المؤمنين بقوله : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٦] .

فإلى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر اللّه : ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] ، الصادقين في إيمانهم يقينًا وتوكلاً على الملك القدير الذي له مقاليد السماوات والأرض ، المخلصين للّه دينهم : ﴿ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر : ٣] ، إليهم نداء ذي الجلال والإكرام : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] ، أن اثبتوا على صراط اللّه المستقيم مع الذين أنعم اللّهُ عليهم من أئمة الهدى وخاتمهم صلوات اللّه عليه وعليهم أجمعين : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

أما الذين خوت قلوبهم من الإذعان والإيمان ، وصدورهم من الهداية والقرآن ، أسرى الجهل والتقليد الأعمى ، أرباب الخرافة والوهم ، هلاَّ أيقنتم بخبر اللّه أصدق القائلين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٠١، ١٠٢] ، فمَنْ أنتم في الفريقين ؟ ألا يجدرُ بكم أن تؤمنوا أنَّ اللّه العظيم الذي هو : ﴿ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٦٤] .

إن سبحانه مُدبر الأمر وحده ، وبيده ملكوت كل شيءٍ : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ [فاطر : ١٣] والخلائق جميعًا لا يملكون من الأمر شيئًا في هذا الكون الفسيح : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي

السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ : ٢٢] ، أي من معين – حاشا لله – تنزه وتقدس ، هو القوي العزيز القاهر فوق عباده .

سبحانه وعَدَ ، والله لا يخلف وعده : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] ، وأتبع الوعد بضمان أكيد ، فقال : ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ ، والذي يُسْلِم نفسه للشيطان ببعده عن ذكر الله والاحتماء به عز وجل لا يضرُّ إلا نفسه ، لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ❁ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ❁ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ٩٨– ١٠٠] ، وجاء على لسان العدو اللعين يذكرُ كيده وإضلاله للغافلين : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ❁ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩، ٤٠] ، قال الربُّ العظيم : ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ❁ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ❁ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٤١– ٤٣] ، والعهدُ مع الله أن نعبده مخلصين له الدين . يقول عز وجل : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ❁ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس : ٦٠، ٦١] .

ويحمي الله المؤمنين المعتصمين بربهم بقوله : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى ❁ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ❁ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ❁ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ [طه : ١٢٣– ١٢٦] .

فهل نهتدي ونوقن بحفظ الله لمن لجأ إليه واحتمى به وتحصن بذكره : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

إن الإيمان بالله نورٌ يملأُ القلب ثقة وركونًا إلى حفظه وحماه ، وهو أعظم الأمن ، ووقاية من كل مكروه وسوء : ﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْسًا وَلاَ رَهَقًا ﴾ [الجن : ١٣] ، إن الكون وحدةٌ ناطقة بهيمنة الله القوي العزيز ، ووحدانيته وقيوميته وقدرته التي لا يعجزها شيء ، إنه اللجأ والاحتماء بالملك ذي الجلال والإكرام ، هداية للنفس وطمأنينة للقلب والحياة ، ونجاة من الشر والشيطان والهلاك ، إن السحر مهما بلغ ، ومهما اجتمع له السحرة البطلة ، كلمة نبينا الأمين ﷺ من حديثي مسلم : لا تأثير له على المؤمنين أصحاب سورة البقرة . وكذلك البيت الذي تُقرأ فيه السورة يفرُّ منه الشيطان .

إلى شبابنا وأبنائنا : إن في دين الله – ولا شيء غيره – العصمة والنجاة والسلامة في الدنيا والآخرة ، وبالله التوفيق .

حصون من كتاب الله الكريم وهدي نبينا الصادق الأمين ﷺ

بأسلوب التلقين من الله جل جلاله لنبيه ﷺ وللمؤمنين من بعده : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ❁ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٧، ٩٨] ، والاستعاذة هي الالتجاء والاحتماء بالله العظيم من شرِّ كل ذي شر ، ومن همزات الشياطين : الحياة دَوْمًا حتى الممات ، فإن الشيطان لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا ، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم عليه السلام من قبل .

والمعنى : أستجيرُ بالله وقدرته من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني ودنياي ، أو يصدني عن فعل ما أُمرتُ به ، أو يحثني على فعل ما نُهيت عنه بوسوسه وحيله .

فإن الشيطان لا يكفُّهُ عن الإنسان إلا الله الذي خلقه ، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ، ولا يراه الشيطان : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] .

روى مسلم قوله ﷺ : ((ألم تَر آيات أُنزلت الليلة لم يُرَ مثلهن قط : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ هما أفضل ما تعوذ به المتعوذون)) .

ومن حديث البخاري القدسي ، يقول عز وجل : ((ولئن استعاذني لأعيذنه)) .

وروى البخاري أنه ﷺ كان يجمع كفيه عند النوم وينفث فيهما ويقرأ المعوذات الثلاث : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ السورة . والصمد : هو السيد على الكون كله ، والمقصود في الحوائج جميعها ، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ فالق الإصباح يأتي بالنور بعد الظلام ، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ السورة ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ . الخناس : الذي يفرُّ مهزومًا أمام ذكر الله عز وجل ، وكررت الاستعاذة من شرّ عدوٌ يُمتحنون به ، والوسواس صوتٌ خفيٌّ للإضلال ، وإن كان مزلقة إلى الهلاك عند الإصغاء إليه ، وعلى المسلم أنْ يدفعه بالاستعاذةِ مرة ومرة .

روى أحمد وأصحاب السنن الأربعة أنه ﷺ كان إذا استفتح الصلاة كبر ، ثم يقول : ((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه)) . همزه : الموتة ، نفخه : الكبْر ، نفثه : الشعر ، وسُئل ﷺ عن الوسوسة أثناء الصلاة فقال : ((إذا أحسَستهُ فتعوذ بالله منه ، يُذهبه الله عنك)) . رواه مسلم .

ومع تلاوة القرآن الكريم جاء قول الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ .

وعن حصانة البيت المسلم قوله ﷺ فيما رواه مسلم : ((لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ، فإن البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة يفرّ منه الشيطان)) . رواه مسلم .

((إذا دخل الرجل بيته فذكر الله وسلم عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان لجنده : لا مبيت لكم ولا عشاء)) . رواه مسلم .

يُوصي ﷺ مَنْ نزل منزلاً ، ثم قال : ((أعوذُ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق . لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك)) . رواه البخاري .

عن أعظم الحفظ : تأكيده ﷺ على قراءة آية الكرسي قبل النوم : ((لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح)) . وقراءتها بعد الصلوات المكتوبات مع المعوذات تكون في ذمة الله ، وحفظه من حديث السنن .

ولتحصين الأبناء كان ﷺ يُعوذ الحسن والحسين ؛ يقول : ((أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة)) . ويقول : ((إن أباكم إبراهيم عليه السلام كان يُعوذ بها إسماعيل وإسحاق ، عليهما السلام)) . رواه البخاري (٣١٩١) .

وعند دورة المياه ؛ كان ﷺ يقول قبل الدخول : ((بسم الله ، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)) الشياطين . رواه البخاري .

وعند الغضب وَرَدّه يقول ﷺ : ((إني أعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجد ! لو قال : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم)) . رواه الشيخان .

ولوقاية المولود ؛ ينصح ﷺ بقوله : ((لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضره الشيطان)) . متفق عليه .

الحِرزُ من الشيطان سائر اليوم حتى المساء ؛ قال ﷺ : ((مَنْ قال : لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، مائة مرة ، كانت له عَدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزًا من الشيطان يومَه ذلك حتى يُمسي ، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا أحدٌ عمل أكثر من ذلك)) . رواه الشيخان .

أخي المؤمن ، لنتدبر سويًّا هذا المشهد يوم القيامة : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين .

نصيحة إلى أئمة الأوقاف

كتبه الشيخ / حسان السيد أحمد
إمام وخطيب بالأوقاف - بني حميل - البلينا

الحمد لله وحده ، وصلاة وسلامًا على عبده ورسوله المصطفى وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .. وبعد :

أقول لكل من شرفه الله بأن يكون داعية وإمامًا يؤم الناس ويقف في المحراب إمامًا للمصلين ، ويقف على المنبر واعظًا ومذكرًا للمسلمين بشرف وظيفته وعظيم مهمته وخطورة رسالته ، إنه يقف موقف رسول الله ﷺ ، وقد اؤتمن على الرسالة التي أرسله الله بها ليكون للناس هاديًا ومبشرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا .

إن الإمام داع إلى الله ، والدعوة إلى الله مهمة كبرى ، ورسالة عظيمة ، وإنه إمام للمصلين ، والإمامة تعني القدوة وسرعة الاستجابة ، لما يدعو الناس إليه ، وإذا كان الله عز وجل قد جعل كل مسلم داعية إلى الحق الذي هدي إليه ، فإن إمام المسجد داعية متفرغ لهذه المهمة الشريفة السامية العظيمة ، فعلى كل إمام أن يتجرد لها ويخلص فيها ويعطيها ما تستحقه من عناية وجهد واهتمام ؛ لأنها مسئولية كبرى ، ومهمة شاقة ، يعان عليها من يؤمن بها ويشعر بحلاوة شرفها وفضلها ويراقب الله فيها ويعتز بها ويعرف أنها أحسن مكانة عند الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

إن كل مسلم مكلف أن يحافظ على الصلوات الخمس ، وكل مسلم مكلف بحضور الجماعات أيًّا كان عمله ، ولكن إمام المسجد ارتبطت وظيفته بعبادته ، والتقى عمله الدنيوي وعبادته فصار شيئًا واحدًا ، فهو يحافظ على صلاة الجماعة ، وهي جزء من عمله والدعوة إلى اللَّه من صميم وظيفته ، فما أجلَّها وأفضلها وظيفة تعين صاحبها على طاعة ربه ، وتهيئه للقيام بواجب الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة .

أخي الداعية الكريم ، إنك إمام وخطيب ومدرس ، وتلك وظائف ثلاثة مترابطة تجعلك مسئولاً أمام اللَّه عز وجل مسئولية كبيرة وعظيمة ، فهنيئًا لك بهذه الوظائف الكريمة الشريفة لو أخلصت للَّه فيها ، ولو قمت بهذه الرسالة حق القيام لكنت من ورثة الأنبياء الذين لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا ، ولكن ورثوا العلم ، ولكنت من الذين لو أقسموا على اللَّه لأبرهم واستجاب لهم ، ولكنت من أولياء اللَّه الصالحين ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فاحرص يا أخي - أعانك اللَّه - على أن تتحقق في شخصك قدوة الإمام وورعه ، وفصاحة الخطيب وقوة تأثيره ، وثقافة المدرس ، وحكمة المعلم .

أخي الداعية ، عليك أن تجتهد وتتزود بزاد العلم المتنوع النافع ، ثم تتزود بالتقوى التي تزيدك قربًا من اللَّه ومراقبة له وخشية

لعذابه ، ورغبة في ثوابه ، ثم احرص أيضًا على القراءة والاطلاع والمداومة على شراء الكتب النافعة ، ولا تخشى في اللَّه لومة لائم ، وأن تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر بكل قوة وصراحة ، واجعل لك وردًا يوميًا ثابتًا من القرآن الكريم بتلاوته وتفسيره ، وكن على صلة بعلومه المختلفة ، وعلى صلة بالسنة وعلومها الشريفة .

أخي الداعية ، إنك تؤم الناس في المسجد ، وتخطب فيهم ، وتدرس لهم ، ولكن مجال رسالتك أوسع من ذلك ؛ لأن الدعوة في الأصل رسالة قبل أن تكون وظيفة ، ورسالتك لا تحدّها جدران مسجدك ، فعليك دعوة من لا يأتونك وترغيب تاركي الصلاة في الإقبال على اللَّه ، وارتياد المساجد والتوبة النصوح ؛ ((ولأن يهدي بك اللَّه رجلاً واحدًا خير لك مما طلعت عليه الشمس)) .

ويعينك على ذلك حسن قيامك بالواجبات الاجتماعية والإسلامية ؛ كزيارة المرضى ، وتعزية المصابين ، وإصلاح ذات البين ، والتعاون مع أهل الخير في محيط مسجدك بكل ما يعود على الناس بالخير ويبعدهم عن الشر ، وكن محاربًا للبدع ، قويًا في الحق .

وفق اللَّه خطاك على طريق الخير ، وثبتك على الحق ، وجعلنا اللَّه وإياك من الهداة المهتدين .

واللَّه من وراء القصد . والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

سيرة عالم عابد .. فقدته الأمة

فضيلة الشيخ / صالح بن علي بن غصون (رحمه اللَّه)

بقلم د / طارق الخويطر

يوم السبت الموافق السابع عشر من شهر ذي الحجة من عام تسعة عشر وأربعمائة وألف ، فقد المسلمون عالمًا جليلاً ومربيًا فاضلاً ومعلمًا حكيمًا ، وقد أبكى هذا الحدث الصغير والكبير والقريب والبعيد ، رأينا في المقبرة أناسًا حضروا للصلاة والدفن لم يروا الشيخ أبدًا ، ومع ذلك فقد ملئت قلوبهم بمحبته بسبب سماعهم لسيرته الحسنة وأخلاقه الفاضلة ، ولم يخطر في بال أحد أن يرى هذه الأمواج من الناس الحاضرين لأجل الصلاة والدفن ، فكل يوم يُفقد أناس ، ولكن لم يعهد هذا الحضور المزدحم في الشوارع وفي المسجد حتى صليت جماعات بعد الإمام لعدم تمكنهم من الصلاة معه ، ومن رأى هذا الموقف تذكر كلام العلماء السابقين ، رحمهم اللَّه ، فقد وصفوا جنائز العلماء بأنها مشهودة من خلق كثير ، ولذا قال الإمام أحمد بن حنبل ، رضي اللَّه عنه ، لأهل البدع :

بيننا وبينكم الجنائز ، فخرج في جنازته بغداد كلها ، وخرج في جنازة ابن أبي دؤاد - وهو من أشعل نار الفتنة - خرج معه ثلاثة رجال دفنوه في جنح الظلام خائفين ، ولعل طلبة العلم وغيرهم ممن رأى ذلك الجمع المشهود أحبوا أن يتعرفوا على شخصية ذلك الشيخ ليسيروا في طريق المجد مثله ، فأقول :

ولد الشيخ رحمه الله عام ١٣٤١ هـ من أبوين صالحين ، توفي والده وعمره ١٣ عامًا ، فحضنته أمه الصالحة وأحسنت تربيته ، فعكف على القرآن الكريم حتى حفظه حفظًا متقنًا ، ثم سافر إلى الرياض لحضور حلقات سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ، فلازمه مدة حفظ خلالها أهم المتون العلمية في الفقه والعقيدة والحديث والنحو ، حتى كوّن قاعدة علمية صلبة ، وذلك راجع إلى فضل الله جل وعلا ، ثم إلى جلده وصبره من أجل العلم ، فقد كان يردد حفظه في أوقات نوم الطلاب كالظهر وبعد العشاء ، فجمع في فترة قصيرة حفظًا وفهمًا ميزه عن بعض زملائه ، وقد نقل للشيخ محمد بن إبراهيم مثابرته وجده في التحصيل ، فعينه قاضيًا في سدير عام ١٣٦٨ هـ ، فذهب إليها وبقي فيها نحو أربع سنوات ، ومع صغر سنه في ذلك الوقت ، إلا أنه رحمه الله عقد للناس دروسًا في الفقه والعقيدة والحديث ، وقد أحبه الناس هناك لما رأوا علمه وتواضعه ، فطلبوا من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم إبقاءه عندهم للفائدة التي لمسوها من وجوده .

انتقل بعدها إلى محكمة شقراء وتوابعها ، ثم درّس في المعهد العلمي بشقراء لما افتتح وبقي في شقراء حتى عام ١٣٨١ هـ ، حيث انتقل في آخر ذلك العام إلى رئاسة محاكم الأحساء ، فكان قاضيًا وإمامًا وخطيبًا ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الرياض عام ١٣٩٠ هـ للعمل في محكمة التمييز ، وفي عام ١٤٠١ هـ انتقل إلى العمل في مجلس القضاء الأعلى وبقي فيه حتى طلب التقاعد في أواخر عام ١٤٠٩ هـ .

وقد انضم رحمه الله إلى هيئة كبار العلماء عند تشكيلها وذلك عام ١٣٩١ هـ ، ومنذ ذلك العام كانت له مشاركة في برنامج نور على الدرب في الإذاعة .

كما كانت له مكاتبات مع الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله ، وكانت له صلة بأصحاب الفضيلة العلماء ؛ الشيخ محمد بن مانع ، والشيخ عبد الله بن حميد ، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، وقد صدر له رسالة صغيرة بعنوان « قتل الغيلة » عام ١٤١٩ هـ ، وهي وجهة نظر قديمة للشيخ حرر فيها مذهب المالكية ، والذي اعتمده من قال : إن القاتل غيلة يقتل حدًّا ، ولا يجوز العفو عنه ، وفي الطريق - إن شاء الله - إلى الظهور فتاوى نور على الدرب ، ومقالات بعض العلماء والأدباء في ترجمة الشيخ .

توفي رحمه الله يوم السبت السابع عشر من شهر ذي الحجة من عام ١٤١٩ هـ ، وقد خلف أولادًا قد استفادوا من سيرة والدهم ، فمنهم المهندس والضابط والمدرس .

نسأل الله له المغفرة والرحمة ، وأن يرزقه الحسنى وزيادة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

بقلم تلميذه ومحبه

د / طارق بن محمد بن عبد الله الخويطر

معهد القرآن الكريم بالحرس الوطني

دعاء وتعقيب

بقلم الشيخ / عبد الرازق السيد عيد

الحمد للَّه الذي له الحمد في الأولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً وهدايةً للناس كافةً محمد البشير النذير ، أما بعد :

أخي الكريم ، وقفنا بك في لقائنا السابق عند اجتماع شمل الأسرة المباركة بعد افتراق طال أمده ، وحقق اللَّه بفضله ورحمته رؤيا يوسف عليه السلام التي رآها وهو طفل صغير ، وهكذا أتم اللَّه نعمته على نبيه يوسف وعلى آل يعقوب ، كما أتمها على أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق ، فتحقَّقت رؤيا يوسف عليه السلام كما تنبأ بذلك أبوه يعقوب عليه السلام من قبل.

وكان تمام النعمة ببسط سلطان يوسف على ملك مصر واجتماع أهله به في ملكه وسلطانه ودخولهم مصر بفضل اللَّه آمنين ، ولم تُنس فرحة اللقاء والاجتماع بعد الافتراق يوسف عليه السلام أن يتوجه إلى ربه بهذا الدعاء : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

وفي هذا الدعاء الكريم فوائد كثيرة ؛ نذكر منها بعون اللَّه ما يأتي :

الأولى : اعتراف يوسف عليه السلام في هذه المناجاة بثلاث من نعم اللَّه عليه ، نعمتان في الدنيا :

١- ما آتاه اللَّه من الملك .

٢- ما آتاه اللَّه من العلم والحكمة وتأويل الأحاديث .

٣- فهي نعمة الدين .

الثانية : ١- في قوله : ﴿ رب ﴾ بحذف ياء النداء ؛ إشارة إلى قربه من اللَّه بحسن صلته به ، وقرب اللَّه من عباده بسماع دعائهم واستجابته .

٢- في قوله : ﴿ من الملك ﴾ ؛ إشعار بأن العبد مهما أوتي من مُلك وعلم فهو قليل بجانب

ملك اللَّه وعلمه .

الثالثـة : فـي قولـه : ﴿ فَـاطِرَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ .

أي خالقها ومبدعها على غير مثـال سـابق ، فبكلمتـك سبحانك خلقتهـا وبيدك أمرهـا ، ولـك القدرة التامة عليها وعلى أهلها .

الرابعة : في قوله : ﴿ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ ﴾ ؛ اعتراف وإقرار بولاية اللَّه له ؛ أي بنصره وتأييده في الدنيا والآخرة ، وقال الشـيخ ابن عاشور في « تفسيره » : (وجملـة : ﴿ أَنـتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ ﴾ مـن قبيل الخبر فـي إنشاء الدعاء ، فـالمعنى : كن وليـي فـي الدنيـا والآخرة) .

الخامسة : فـي قولـه : ﴿ تَوَفَّنِـي مُسْلِمًا ﴾ ؛ إشارة إلى النعمة العظمى ، وهي نعمة الانتمـاء إلى الدين الحق ؛ دين الإسلام ، ويطلب من اللَّـه الثبات عليها حتى الممات .

وهـذا يذكرنـا بقـول أبويـه مـن قبـل إبراهيـم وإسماعيل حين قـالا : ﴿ رَبَّنَـا وَاجْعَلْنَـا مُسْلِمَيْنِ لَـكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَـا أُمَّـةً مُّسْلِمَةً لَّـكَ ﴾ [البقـرة : ١٢٨] .

وكذلـك بوصيـة إبراهيـم ويعقـوب عليهمـا السلام لأبنائهما : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

وبقول المؤمنين من قوم موسى عليه السلام حيـن واجهوا جـبروت فرعـون فقـالوا : ﴿ رَبَّنَـا أَفْـرِغْ عَلَيْنَـا صَـبْرًا وَتَوَفَّنَـا مُسْـلِمِينَ ﴾ [الأعـراف : ١٢٦] .

وبقـول حـواريّ عيسـى عليه السلام حيـن قـالوا : ﴿ نَحْنُ أَنصَـارُ اللّـهِ آمَنَّـا بِاللّـهِ وَاشْـهَدْ بِأَنَّـا

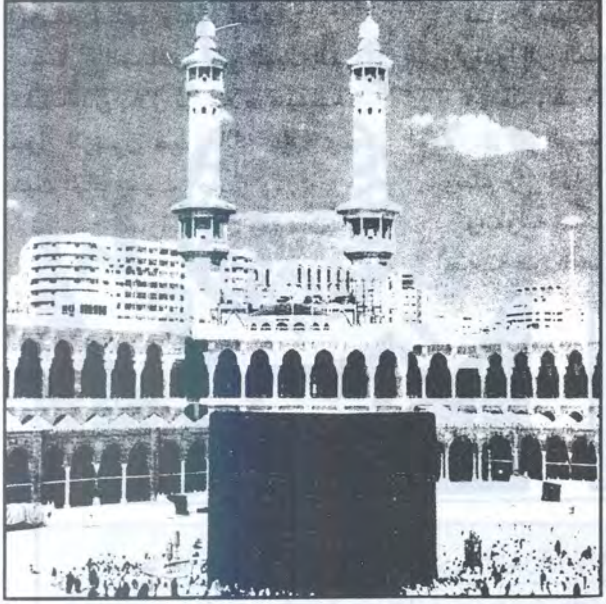

مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٢] .

وبقول نبينا محمد ﷺ حين قـال فيمـا حكـى اللَّه عنه : ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْـدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِـنَ الْمُسْـلِمِينَ ﴾ [النمـل : ٩١] ، وبقولــه ﷺ : ﴿ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمـر : ١٢] .

وهذا يشبه توجيه اللَّه سبحانه للمؤمنين من أمة محمد ﷺ حين قال سبحانه : ﴿ اتَّقُواْ اللّـهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُـنَّ إِلاَّ وَأَنتُـم مُّسْـلِمُونَ ﴾ [آل عمـران : ١٠٢] ، فهـذه مسـيرة الأنبيـاء على مر التاريخ أولها متصل بآخرها ، وآخرهـا يشهد لأولها ، فاللَّه واحد ، ودينـه واحـد ، وهـو الإسلام ، والأنبيـاء والمرسـلون جـاءوا بهـذا الدين ، والمؤمنون في كل زمـان ومكـان طلبـوا من اللَّه أن يموتوا على هذا الدين ؛ ديـن الحـق ديـن الاستسـلام لـرب العـالمين ، وإسلام القلـب والجوارح له سـبحانه وتعـالى ، ومسيرة الحـق

يؤيد بعضها بعضًا ، وهكذا طلب يوسف عليه السلام من ربِّه أن يتوفاه على هذا الدين ؛ دين الإسلام ، وأن يلحقه بالصالحين من عباده الذين ماتوا على هذا الدين فيجتمع في جنة الخلد مع آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومع إخوانه من الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد بن عبد الله النبي الأمي ومن الصالحين من عباد الله الذين ماتوا على هذا الدين ، بهذا الدعاء الجليل من الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، ختم السياق القرآني الكريم قصة يوسف عليه السلام ، ثم بدأ في تعقيب وتذييل لاستخلاص العبر والدروس ، ولنا معه الوقفات التالية :

الأولى : مع قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ۞ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١، ١٠٢] .

هنا انتقل السياق القرآني الجليل إلى خطاب سيدنا محمد ومن بلغ ، وقوله تعالى : ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما سبق خبره من أمر يوسف وإخوته فهو غيب لم يكن يعرفه محمد ﷺ ، ولا قومه ، ولا حتى أهل الكتاب الذي نزل فيهم هذا الخبر من قبل لم يعرفوه بهذه الدقة وهذا الشمول وذاك الصدق .

ولكن هذا من فضل الله عليك يا محمد بما أوحى الله إليك من هذا القرآن ، وهذا هو المعنى الذي أشارت إليه الآيات الكريمة في أول السورة ، حيث قال الله عز وجل : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣] .

فهذا الذي قصَّه الله عليك يا محمد من خبر موسى وإخوته من الوحي الذي أوحاه الله إليك ، ولم تكن يا محمد حاضرًا هناك عندما مكر إخوة يوسف بأخيهم وبأبيهم ، أو عندما مكرت امرأة العزيز بيوسف عليه السلام أو غير ذلك ، وكان مقتضى ذلك أن يعرف الناس أن هذه الأخبار ليست من عندك أنت ، ولكنها من عند الله الذي يعلم الغيب ، والذي أوحى إليك بشيء منه ، ثم تؤدي بهم هذه المعرفة إلى الإيمان بأنك رسول الله حقًّا ، ولكن مع الأسف أكثر الناس - ومع حرصك على إيمانهم - لا يؤمنون .

الثانية : مع قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] ؛ في هذه الآية الكريمة إشارة إلى حقيقة التوحيد الذي غفل عنه الكثيرون رغم رؤيتهم لآيات الله الواضحات التي يمرون عليها صباح مساء ، ثم لا يؤمنون ، حتى وإن اعترفوا بوجود الله خالقًا رازقًا مدبرًا كما كان هو حال مشركي العرب ، فكانوا يؤمنون بوجود الله ، ولكنهم يشركون معه غيره في العبادة ويقولون : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] .

وهذا حال كثير من الناس في كل زمان ومكان الذين يسألون غير الله ويذبحون لغير الله وينسبون الخير للكواكب والنجوم والأشخاص ويقولون : لولا فلان ما انتصرنا وما رزقنا ، ويخشون المخلوق كخشية الخالق .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وللحديث بقية إن شاء الله رب العالمين .

طريق الإخلاص

بقلم الشيخ :

أسامة بن عليٍ سليمان

إدارة شئون القرآن بالمركز العام

الحمد للّه وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. وبعد :

فإن الإخلاص شرط في قبول الأعمال ، فإن فقد الإخلاص حبط العمل ، يقول سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة : ٥] .

ويقول سبحانه : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾ [الحج : ٣٧] .

والإخلاص هو إفراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد في الطاعات ، أو هو تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين ، وإحضار النيّة في جميع الأعمال الظاهرة والباطنة ، والإخلاص عزيز نادر ، ولذلك قال سهل بن عبد اللّه عندما سُئل : أي شيء أشد على النفس ؟ قال : الإخلاص ؛ لأنه ليس لها فيه نصيب .

وقيل أيضًا : من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة للّه تعالى نجا .

فكم من عمل صغير كثرته النية ، وكم من عمل كثير صغرته النية ، ولذلك قال الفضيل بن عياض : ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك اللّه منهما .

ولذلك كان سلفنا الصالح ، رضوان اللّه عليهم ، يجتهدون في إخلاص الأعمال للّه عز وجل ، ويجردون أعمالهم من حظ النفس .

يقول الشافعي رحمه اللّه : وددت أن الناس تعلموا هذا العلم - ما في كتبه - ولا ينسب لي منه شيء .

ويقول الحسن ، رحمه اللّه : كان الرجل يكون عنده زواره فيقوم من الليل يصلي ولا يعلم به زواره .

وكانوا يجتهدون في الدعاء ، ولا يسمع لهم صوت ، وكان الرجل ينام مع امرأته على وسادة فيبكي طول ليلته وهي لا تشعر .

قال أيوب السختياني ، رحمه اللّه : ما صدق عبدٌ قط فأحب الشهرة . وقال يحيى بن معاذ : لا يفلح من شممت رائحة الرياسة منه ، وقال رجل لتميم الداري : ما صلاتك بالليل ؟ فغضب غضبًا شديدًا ، ثم قال : لركعة أصليها في جوف الليل في سر أحب إليَّ من أن أصلي الليل كله ، ثم أقصه على الناس .

وكان الربيع بن خيثم ، رضي اللّه عنه ، يأتيه الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه ، وما رؤي رضي اللّه عنه متطوعًا في مسجد قومه إلا مرة واحدة .

ويقول ابن مسعود ، رضي اللّه عنه : لا تَعَلَّموا العلم لتماروا به السفهاء ، أو لتجادلوا به الفقهاء ، أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم ، وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند اللّه ، فإنه يبقى ويذهب ما سواه .

وقال بشر الحافي : لأن أطلب الدنيا بمزمار ، أحب إليَّ من أن أطلبها بالدين .

وقال مطرف بن عبد اللّه : صلاح القلوب بصلاح العمل ، وصلاح العمل بصلاح النية .

ولذلك عندما سئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل اللَّه ؟ قال : ((من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل اللَّه)) . متفق عليه .

فالكل موتى ، ولكن اختلفت المنازل باختلاف النيات والمقاصد ، وعندما سُئل أيضًا ﷺ عن الرجل غزا ليلتمس الأجر والذكر ما له ؟ قال : ((لا شيء)) . رواه النسائي ، وحسنه الألباني .

وروى ابن ماجه في ((سننه)) عن أبي الدرداء ، رضي اللَّه عنه ، أن النبي ﷺ قال : ((من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم من الليل فغلبته عينه حتى أصبح كُتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه)) .

واللَّه عز وجل أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً أشرك فيه مع اللَّه تركه اللَّه عز وجل وشركه .

ولذلك فمجاهدة النفس من الشرك الخفي وهو الرياء أمر عظيم ؛ لأن الرياء محبط للعمل ، والرياء من صفات المنافقين ، يقول سبحانه في وصفهم : ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء : ١٤٢] .

والرياء باب خطير من أبواب الشيطان الرجيم ، من ولجه هلك ، وبعض أبوابه أشد من بعض ، وهو أخفى من دبيب النمل ، كما بين ذلك المعصوم ﷺ ، وأحب الناس إلى اللَّه التقي الخفي الذي إذا غاب لم يفقد ، وإذا حضر لم يطلب .

ففي ((صحيح مسلم)) أن النبي ﷺ كان في غزوة فأفاء اللَّه عليه فقال لأصحابه : ((هل تفقدون لنا من أحد ؟)) قالوا : نعم فلانًا وفلانًا ، ثم قال : ((هل تفقدون من أحد ؟)) قالوا : لا ، قال : ((لكني أفقد جُليبيبًا فاطلبوه)) . فطلب في القتلى ، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ، ثم قتلوه ، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه ، فقال : ((قتل سبعة ، ثم قتلوه ، هذا مني وأنا منه ، هذا مني وأنا منه)) . ثم وضعه النبي ﷺ على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ ، ثم حفر له ووضع في قبره . ولم يذكر غسلاً .

وللإخلاص ثمرات يجنيها المسلم في الدنيا ، فضلاً عن أجره العظيم في الآخرة ، فمنها :

١- عدم الاهتمام بثناء الناس من عدمه ، فالغاية هي رضا اللَّه تعالى .

٢- عدم الانتصار للنفس ؛ لأن المخلص لا حظ لنفسه في عمله .

٣- نور في الصدر ، وانشراح وطمأنينة سببها بركة الإخلاص .

٤- سبب لمحبة اللَّه ، فإن اللَّه يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإن حضروا لم يعرفوا .

فاحرص أخي على سلامة نيتك من الشرك ، واجعل لك نية في كل عمل حتى في الطعام والشراب ، فعن داود الطائي قال : رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرًا وإن لم تنصب .

وعن سفيان الثوري : ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي . وعن جعفر بن حبان : ملاك الأعمال النيات ، فإن الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلغ بعمله ، وراقب اللَّه في كل أعمالك ، واعلم أنه مطلع عليك :

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل
خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

ولذلك لما سئل الجنيد رحمه اللَّه : كيف أعالج غض البصر : قال : بعلمك أن نظر اللَّه إليك أسبق من نظرك إلى ما تنظر .

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل ، واغفر لنا ذنوبنا ، خطأنا وعمدنا ، جدنا وهزلنا ، وكل ذلك عندنا ، إنك نعم المولى ونعم النصير . واللَّه من وراء القصد .

الفرق اليهودية

كتبه : شريف بن كمال عزب

تثبت الأفكار وتتوالد كتوالد الأحياء ، وتتفاعل كتفاعل الكيمياء ، ويختلف الناتج من هذا التوالد والتفاعل باختلاف الزمان والمكان والمزاج والباعث والغاية .

وقد يفنى بعض هذا الناتج لفساده أو لضعفه أو لعدم الظروف الملائمة لحياته أو لوجود الظروف الموجبة لفنائه ، وقد يبقى البعض الآخر لصلاحيته أو لقوته وحصانته ، أو لعدم الظروف المقتضية لموته ، أو لوجود الظروف الداعية لبقائه ونمائه وازدهاره وإثماره .

والديانة اليهودية خاضعة لهذا القانون ، فاعتراها ما يعتري الماديات والمعنويات ، فتشعبت تعاليمها بتشعب أهلها ، واختلفت آراؤهم فيها وتباينت منازعهم في تقرير مبادئها وأصولها وتعاليمها لاختلاف الأزمان التي مرت عليهم والبيئات التي اكتنفتهم والعوامل التي أحاطت بهم ، والنكبات التي لحقتهم ، فكان من الضروري أن توجد آراء يتشيع لها البعض ويناهضها البعض ويقف آخرون منها موقف الحياد لا يؤيدها ولا يدحضها ، وكتب لبعض هذه الآراء أن تلقى في زوايا النسيان لسبب من الأسباب المتقدمة ، وكتب لبعضها أن تحيا إلى يوم الناس هذا لسبب ما كذلك .

ولقد افترق اليهود شيعًا وأحزابًا يلعن بعضها بعضًا ، ويكفر بعضها بعضًا ويضرب بعضها رقاب بعض لاعتبارات أكثرها ديني المنشأ أصلاً وفرعًا .

وأول انقسام لهم حصل في زمن موسى عليه السلام حينما أنزلهم منازلهم وجعل لهم سمات تميزهم ، وجعل لكل قبيلة لواء يلتفون حوله ويفيئون إليه ، وذلك في الصحراء ، ثم انقسموا ثانيًا في آخر عهد القضاة ، وحارب أسباط بني إسرائيل سبط بنيامين لاعتدائهم على سرية رجل لاوي اعتداءً غير شريف .

ثم انقسموا ثالثًا لأسباب سياسية بعد موت سليمان عليه السلام حينما طالب الشعب رحبام بتخفيف ما لحقهم أمام أبيه فاحتقرهم ، فولوا عليهم بربوعام أخاه ، وكونوا مملكة تدعى إسرائيل اتخذت شكلاً دينيًا لحماية سياستهم ، فأقيمت معابد الأوثان وحرم على رعاياها الذهاب إلى بيت المقدس ، وقلدتها مملكة يهوذا .

ثم انقسموا رابعًا أيام الأسر البابلي اندمج من عاد منهم في قبيلتي بنيامين ويهوذا ، ثم لما جاء الإسكندر وأسكن بعض اليهود مدينة الإسكندرية وأبقى بعضهم الآخر في سوريا نشأ طائفتان يهوديتان : مصرية ، وسورية ، وزاد هوة الخلاف بينهما اتباع الطائفة السورية للعادات الإغريقية .

ثم انقسموا خامسًا في عهد الإمبراطور جوليان ، إذ أنشئت محكمتان يهوديتان في طبرية وبغداد تطورتا إلى بطريركتين قامتا بجمع العهد القديم وما يتبعه من إضافات تحت اسم ((التلمود)) .

وكان لكل واحدة تلمودها ، ونحن هنا لا نحاول أن نسهب في بيان الفرق ونشأتها وآرائها ونتتبع تطوراتها وصلتها ببعضها ولا حصر عددها ، بل نلم إلمامة عامة بأشهر الموجود منها ، وخاصة من لها رأي في التوراة .

وأشهر الفرق الموجودة الآن :

أولاً : السامرة :

بعد السبي البابلي حوالي ٧٢٢ ق . م هاجر أناس من بابل وغيرها واستوطنوا مدينة شمرون ، وتسموا بالشومريم ، ويقيمون الآن في نابلس - من أعمال فلسطين - على ثمانية عشر ميلاً من بيت المقدس ، وبعضهم بمصر .

ويخالفون بقية الفرق اليهودية بما يأتي :

١- لهم توراة خاصة بهم غير هذه التوراة التي في أيدي اليهود الآن مكتوبة على جلود القرابين ، ويرجعون تاريخها إلى أربعة

وثلاثين قرنًا ، ويقدر العلماء لها عشرة فقط ، وتختلف عن التوراة المتداولة في ٤٠٠ موضع .

٢- لا يقرون بالبعث ؛ لأنه لو يوجد له ذكر في التوراة .

٣- لا يقدسون ((التلمود)) - الكتاب الديني الثاني - لذا كان لهم أصول شرعية تبعد عن الأصول الشرعية التي للفرق الأخرى .

٤- لا يحترمون بيت المقدس ولا يستقبلونه في عبادة .

٥- لهم قبلة ، وبيت المقدس على جبل جريزيم .

٦- لا يؤمنون بمن جاء بعد يشوع ، فيكذبون نبوة شمعون ، وداود ، وسليمان .

٧- لهم تقشف في الطهارة ، وصلاتهم بها ركوع وسجود ، ويغتسلون ويتوضئون ويحجون ثلاث مرات إلى جبل جريزيم كل عام .

٨- لغتهم قريبة من العبرية ، وليس فيها الألف ، الهاء ، العين ، الخاء . الأحرف التي توجد في العبرية الحالية .

٩- يرجعون نسبهم إلى يوسف عليه السلام ويتبرأ منهم الربانون والقراءن .

ثانيًا : الربانون :

وكانوا يسمون الفريسيين نشئوا أيام الميكابيين وهم جمهور اليهود ولهم تعاليم منها :

١- أنهم يقدسون التوراة و((التلمود)) ، ويعتبرونه وحيًا شفويًا أوحي إلى موسى عليه السلام ، ويكفرون من لم يعمل به ، وقد سدوا باب الاجتهاد .

٢- يؤمنون بالبعث من غير دليل عليه في التوراة .

٣- صلاتهم تشبه الصلاة بالنسبة للمسيحيين .

٤- يعتبرون السامرة ضالين والقرائين دخلاء في الدين .

٥- تنقسم هذه الفرقة إلى سبع فرق كلها خالفت الغاية المقصودة[1] .

وهذه الفرقة يبيح لها التلمود التعامل بالربا ، وحتم عليها الانفصال التام عن غيرهم ، وعلمهم نظامًا أخلاقيًا فاسدًا ، جعلهم خطر على من يعيشون بينهم ، حتى ولو كانوا متمتعين بأقصى ما يمكن من الحقوق[2] .

ويهود أوربا أغلبهم من أهل هذه الفرقة .

ثالثًا القراءون :

ظلت هذه الفرقة هادئة نحو ستمائة سنة ، ثم ظهرت في بغداد في حوالي القرن الثامن الميلادي في خلافة مروان بن محمد ، آخر خلفاء بني أمية ، وهم :

١- لا يقدسون غير التوراة ، فيوافقون السامريين في ذلك .

٢- يفسرونها بالعقل فاتحين باب الاجتهاد .

٣- يعتبرون التلمود مجموعة آراء المفكرين اليهود القدماء .

٤- عزيز ابن الله دون سائر اليهود[3] .

٥- يخالفون الربانيين في المعاملات والأحوال الشخصية والميراث والمواسم والأعياد ، وهم أقل عددًا من صبغة فلسفية ، واتصلت تعاليمها بالنصرانية والإسلام ومزجتها بالرواقية والاشتراكية ، وكانوا يقيمون حول البحر الميت .

وهذه أشهر الفرق الباقية بإجمال ، ولاحظ ما يأتي :

١-بينها فروق جوهرية في صلب العقيدة والعبادات وطقوسها والمعاملات .

٢- أنه لا يمكن التوفيق بين آرائها .

٣- هذه الفرق ظهرت متأخرة .

٤- الذي يسترعي انتباهنا هو ذلك الاختلاف في الكتاب المقدس اختلافًا يجعل الباحث في شك مريب من كتابيهما معًا ؛ لأنه لا يعلم أيها هو الصحيح ، فتكون الثقة بهما ضعيفة إن لم تكن مستحيلة .

وهذا فرق بين التوراة الحاضرة والقرآن الكريم ، حيث إنه لا يوجد بين المسلمين من يقول بكتاب آخر غير هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولم يوجد فيه اختلاف مطلقًا بين المسلمين قاطبة ، وانعقد إجماعهم على أن الكتاب الذي بين أيدنا الآن هو الكتاب الذي أُنزل لهداية البشر وسعادة الإنسانية على سيدنا محمد ﷺ .

والله أعلى وأعلم .

---

(١) ((تاريخ الإسرائيليين)) (ص ١١٨) لشاهين مكريوس .

(٢) ((المعارف الإنجليزية)) ، أقول : والتوراة الحالية تبيح معاملة الأجنبيين بالربا تثنية (ص ٢٣ : ٢٠) .

(٣) ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) ، ابن حزم (ج١ ص ٩٨)

التحذير من الفتن

بقلم الشيخ / محمد خليل هراس
(رحمه الله)

عن حذيفة بن اليمان ، رضي الله عنه ، قال : كنا عند عمر فقال : أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن ؟ فقال قوم : نحن سمعناه ، فقال : لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره ؟ قالوا : أجل ، قال : تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر ؟ قال حذيفة : فأسكت القوم ، فقلت : أنا ، قال : أنت ؟ لله أبوك ! قال حذيفة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا ، فأي قلب أُشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه » .

قال حذيفة : وحدثته أن بينك وبينها بابًا مغلقًا يوشك أن يكسر ، قال عمر : أيكسر ؟ لا أبا لك ، فلو أنه فتح لعله كان يعاد ، قلت : لا ، بل يكسر ، وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت . حديثًا ليس بالأغاليط .

شرح المفردات :

حذيفة بنُ اليمان : صحابي جليل ، كان أعلم أصحاب رسول الله ﷺ بالمنافقين ، حتى إنهم كانوا يعرفون نفاق الرجل إذا لم يصل عليه حذيفة . وكان عمر الفاروق ، رضي الله عنه ، على جلالة قدره وسابقته في الإسلام يسأل حذيفة : هل تجد فيَّ خصلة نفاق ؟ فيقول له : لا ، ولا أزكي أحدًا بعدك .

توفي - رضي الله عنه - عام ست وثلاثين من الهجرة في السنة التي وقعت فيها موقعة الجمل المشهورة .

يذكر الفتن : أصل الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان ، وهو مأخوذ من فتنة الذهب ونحوه على النار لتخليصه وتنقيته مما يخالطه من أتربة وأوضار ، ثم صارت في العرف لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء ، يقال : فتن الرجل يفتن فتونًا إذا وقع في الفتنة ، وتحول من حال حسنة إلى حال سيئة .

فتنة الرجل في أهله وجاره : قيل : إن معنى ذلك هو أن يفرط في محبتهم والاشتغال بهم ، حتى يشغلوه عن كثير من أبواب الخير ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة : ٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا

أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] .

وقيل : المراد بذلك التفريط في بعض ما يلزمه القيام به من حقوقهم باعتباره راعيًا لهم .

التي تموج موج البحر : أي تضطرب ويدفع بعضها بعضًا ، شبهها بموج البحر في شدتها وكثرة شيوعها واختلاطها وتدافعها .

فأسكت القوم : قال أهل اللغة : سكت وأسكت لغتان بمعنى صمت ، وفرق الأصمعي بينهما فقال : سكت بمعنى صمت ، وأسكت بمعنى أطرق ، وإنما أسكتوا ؛ لأنهم كانوا لا يحفظون ما قاله الرسول ﷺ في ذلك النوع من الفتنة .

للَّه أبوك : كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها ؛ لأن الإضافة إلى العظيم تشريف ، فإذا فعل الرجل ما يحمد عليه قيل له : للَّه أبوك ، يعني حيث أتى بمثلك .

تعرض الفتن على القلوب : المراد بالعرض هنا ؛ التعرض والظهور ، كأن الفتنة تعرض نفسها على القلوب أن تظهر لها فتنة بعد أخرى .

كالحصير عودًا عودًا : الحصير معروف ، والعود هو بضم العين والدال المهملة واحد الأعود ، شبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها ؛ لأنه كلما

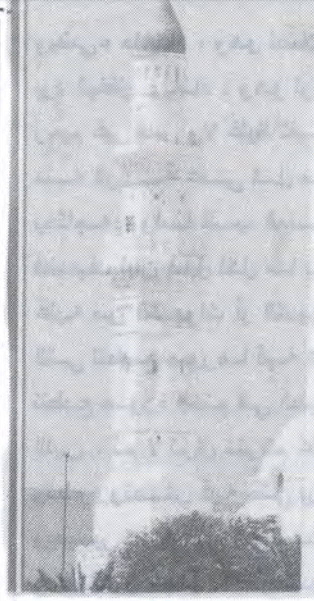

صنع عودًا أخذ آخر ونسجه ، ووجه الشبه الكثرة والتلاحق وسهولة التناول .

فأي قلب أشربها : معناه : دخلت فيه دخولاً تامًا وتمكنت منه كأنها حلت منه محل الشراب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ [البقرة : ٩٣] ؛ يعني تمكن حبه من نفوسهم .

نكت فيه نكتة سوداء : أي نقط فيه نقطة ، قال ابن دريد وغيره : كل نقطة في شيء بخلاف لونه فهو نكت .

وأي قلب أنكرها : يعني ردها ولم يقبلها ولم يتلبس بها .

أبيض مثل الصفا : الصفا ؛ هو الحجر الأملس كالصفوان ، والمراد أن هذه القلوب لم تعلق بها الفتنة ولم تؤثر فيها ، كأنها حجر أملس لا يعلق به شيء ، وهو كناية عن استمساكها بعقد الإيمان وسلامتها من الضعف واللين ، فلم تستطع الفتن أن تغيرها أو تؤثر فيها .

أسود مربادًا : الاربداد شيء من بياض يسير يخالط السواد ، يقال : أربد يربد فهو مربد كمحمر ومصفر ، والمراد أن هذا القلب تعلوه النكت بسبب تشربه الفتنة وقبوله إياها حتى يسود كله ولا يبقى فيه إلا خيوط ضئيلة من بياض .

كالكوز مجخيًا : يعني أنه نكس وقلب حتى لا يستقر به خير ولا حكمة ، كما لا يستقر الماء بالكوز المقلوب .

قال القاضي عياض : شبه القلب الذي لا يعي خيرًا بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه .

المعنى الإجمالي للحديث :

اقتضت حكمة اللَّه سبحانه وتعالى أن لا يدع الناس هكذا يختلط شرارهم بخيارهم ، ولا يعرف مؤمن من منافق ، ولا يتميز صادق عن كاذب ، بل هو سبحانه يبتليهم بأنواع من الابتلاء التي تظهر مطاوي القلوب وخفايا النفوس ، كما قال تعالى في سورة ((آل عمران)) : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ

حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] . وكما قال في سورة ((العنكبوت)) : ﴿ الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١- ٣] .

وحينما تهب ريح الفتنة على القلوب تهزها هزًّا عنيفًا فتتساقط القلوب الهشة الضعيفة كما يتساقط الحشف اليابس ، وتماع في الفتنة كما يذوب الملح في الماء ، وتركض فيها ركض الجواد في حلبة السباق .

وأما القلوب المؤمنة التي ذاقت حلاوة الإيمان وخالطتها بشاشته فتثبت وتتماسك وتتشبث بعرى الحق في قوة ، وتعتصم بما عرفت من معالم الهدى ، وتستقيم على النهج الواضح لا تزيغها عنه فتنة ، ولا تؤثر فيها ضلالة ، وقد ضرب اللَّه المثل لقلب المؤمن في سورة ((النور)) بالزجاجة الشديدة الصفاء التي تلمع كما يلمع الكوكب الدري في أفق السماء ، فقلب المؤمن جامع لأوصاف ثلاثة هي : الصفاء ، والرقة ، والصلابة ، فهو لصفائه ينفذ إليه نور الحق ، فيشع في جوانبه ، ويضيء حناياه ، وهو لصلابته يرد الباطل ويأباه ، وهو لرقته رحيم غير قاس ولا غليظ تفيض منه الرحمة على كل من يحتاجه ، وأما قلب المنافق فضعيف لين قابل لكل ما يَرِد عليه من الشهوات أو الشبهات التي تنطبع صورها فيه كما تنطبع صورة الختم في الطين اللين ، ثم لا تزال تتراكم عليه وتعلوه وتعشش فيه حتى يربد ويصير كما في الحديث : ((كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا)) .

وقد أخبر النبي ﷺ عن كثير من الفتن التي أعلمه اللَّه بالوحي أنها ستجري على أمته ، وقد حذر من الخوض في لُجَّتِها ، وأمر بالاعتصام عندها بكتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ ، وأن يأخذ المؤمن ما يعرف ويدع ما ينكر ، وفي ((صحيح البخاري)) وغيره : ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن)) . ولكن أمْر اللَّه كان قدرًا مقدورًا ، وفي الحديث يحدث حذيفة عمر عن الفتنة التي تموج موج البحر ، ويقول له : إن بينك وبينها بابًا يوشك أن ينكسر ، وكان عمر ، رضي اللَّه عنه ، هو ذلك الباب الذي انكسر ، فما هو إلا أن قتل بيد الغدر اللئيم ، حتى تحدرت الفتنة بعده تحدر السيل ، وهدرت هدير الموج ، وقيض اللَّه لها من أبالسة الشر ورءوس المكر والضلالة ممن تغلي مراجل قلوبهم بالحقد على الإسلام من يذكي نارها ويشب أوارها ، حتى أكلت فيمن أكلت الخليفة الثالث والشيخ الوقور ذا النورين عثمان بن عفان ، رضي اللَّه عنه ، بعد حصار لداره لقي فيه هو وأهله أشد العناء ، وفي هذا الجو الذي يغلي بالفتن والسيوف لا تزال مصلتة بيد الغدرة اللئام لم تجف بعد من هذا الدم الذكي الحرام بويع علي رضي اللَّه عنه بالخلافة ، وكان فيمن بايعه أخواه الكبيران طلحة والزبير ، رضي اللَّه عنهما ، ولكنهما لم يلبثا أن أحسا وخزة الندم لخذلهما عثمان ، فصمما على المطالبة بدمه ونقضا ما في عنقيهما من بيعة علي وقدما البصرة يستنفران أهلها ، واستقدما إليها أم المؤمنين عائشة ، رضي اللَّه عنها ، وكانت وقعة الجمل المشهورة ، ثم احتدم الخلاف بين علي ومعاوية ، وكانت موقعة ((صفين)) التي قُتل فيها نحو من ثلاثين ألفًا من المعسكرين ،

ثم كانت مهزلة التحكيم التي انتهت بخروج الخوارج الذين روعوا المجتمع الإسلامي بما ارتكبوه من فظائع ، حتى قتل بهم علي في معركة النهروان ، ثم كانت موقعة الحرة زمن يزيد بن معاوية ، واستباحة حرم رسول الله ﷺ ثلاثة أيام يعيث فيه جند يزيد بالفساد ، بعد أن قتلوا معظم أهلها من أبناء الأنصار والمهاجرين ، ثم استشهاد الحسين بكربلاء على يد جند عبيد الله بن زياد ، ثم كان حصار مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير وجنوده على يد الحجاج بن يوسف الثقفي في خلافة عبد الملك بن مروان ... إلخ ما حفظه التاريخ من فتن وأحداث تموج بالناس موج البحر وتتتابع تتابع القطر .

واستتبع هذا الخلاف السياسي خلاف من نوع آخر حول تفسير بعض العقائد الدينية ، فقال الخوارج بكفر مرتكب الكبيرة ، وحكموا عليه بالخلود في النار ، وشاركهم المعتزلة في الأمر الثاني ، ولكنهم لم يسموه كافرًا ، بل جعلوه في منزلة بين المنزلتين ، ثم ظهرت بدعة القدرية التي حمل لواءها غيلان الدمشقي ومعبد الجهني ، ونسب إليها بعض السلف كالحسن البصري ، ثم ظهرت بدعة الإرجاء - يعني تأخير الأعمال عن الإيمان ، واعتقاد أنه لا يضر مع الإيمان ذنب - وقد اتهم بها بعض الأئمة كأبي حنيفة - رحمه اللّه - بسبب رأيه في الإيمان ؛ وهو أنه لا يزيد ولا ينقص ، ثم ظهرت بدعة الجعد بن درهم في نفي الصفات ، وقد ضحى به خالد بن عبد اللّه القسري في يوم عيد الأضحى ، حيث خطب الناس وقال لهم : اذهبوا إلى أضحياتكم يتقبل اللّه منكم فإني مضح اليوم بالجعد بن درهم ؛ إنه زعم أن اللّه لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولا كلم موسى تكليمًا .

ثم نزل فذبحه ، ثم تبعه الجهم بن صفوان الترمذي ، وغلا في النفي ، وقال بخلق القرآن ، وذهب إلى الجبر المحض ، وزعم أن العبد لا فعل له ولا اختيار ، ثم ظهرت بدعة المعتزلة ، حمل لواءها واصل بن عطاء ، وتبعه عمرو بن عبيد ، فقالا بقول القدرية ، ونفوا الصفات ، وأوجبوا على اللّه بعقولهم أشياء ، وأنكروا رؤية اللّه يوم القيامة ، وخرجوا على مقتضى النصوص الصريحة ، وحكموا العقل وحده في مسائل العقيدة ، ثم ترجمت كتب الفلسفة اليونانية وحكمة الهنود وآداب الفرس زمن بني العباس ، فزاد الطين بلة ، واتسع الخرق على الراقع ، وجنحت بالناس الأهواء ، وركبوا متن كل عمياء ، وجاءت الصوفية بألغازها وإشارتها وقالت بالحلول ووحدة الوجود ، وزعمت الكشف والشهود ، ولبست على الناس بأنواع من المخاريق ، وابتدعت في دين اللّه من البدع ما لا يحصيه إلا اللّه ، ثم كانت في العصور المتأخرة بدع البهائية والقاديانية والماسونية التي طال شرورها في كثير من الأقطار الإسلامية .

وهكذا تلاحقت الفتن على هذه الأمة ، ولا تزال حتى تكون فتنة المسيح الدجال التي هي شرها وأشدها .

نسأل اللّه أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، إنه العلي الأعلى الكريم الوهاب .

وصلى اللّه وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة

كتبه :

عبد الحافظ زين العابدين

في جمعة من جمع شهر جمادى الآخرة خطب إمام المسجد خطبة الجمعة ، وكان موضوعها الحديث الصحيح المشهور : « لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » .

وشرح الإمام هذا الحديث شرحًا ضافيًا ووافيًا ، وأسهب في معانيه ، وجلى للمصلين أن الحديث يحرم السفر للعبادة أو الزيارة لأماكن معينة يعتقد فيها ويرجى منها حصول خير أو دفع ضر ، والإسلام نهى عن السفر والترحال إلى أي مسجد من مساجد الأرض للصلاة فيها غير المساجد الثلاث ، ونهى نهيًا قاطعًا عن تخصيص قبور معينة بالسفر إليها كقبور الأولياء ومشاهدهم أو الصلاة في مساجدهم ، وهذه القبور ليس لها ميزة عن غيرها ، إلا أن الناس يعتقدون البركة فيها ، وهذه المساجد ليست لها أفضلية عن المساجد كلها ، والأفضلية بحق وصدق للمساجد الثلاث ، وكل سفر للعبادة في غير المساجد التي ذكرها الحديث الصحيح بدعة من البدع المنكرة ، والرسول ﷺ رغب في السفر إلى المساجد الثلاث لينال المسافر إليها ثواب الصلاة ؛ ولأن أجرها مضاعف في رحابها ، وبين الإمام للناس ، وقال في كلام واضح ، أن هناك أمورًا يجوز السفر لها كالسعي على العمل ، والسفر للتجارة ، والمشي في مناكب الأرض لاكتساب الرزق من حلال ، وأكد الإمام القول بأن السفر للمساجد الموغلة في البعد والزيارة لأوليائها ، فإنه سفر لم يرضه الإسلام ، وكان حديث الإمام شيقًا ومقبولاً ، ولكن بعد انتهاء الصلاة وقف شاب من أنصاف المتعلمين وتكلم في مكبر الصوت معقبًا على خطبة الشيخ ، وقال : إن الشيخ مخطئ فيما يقول ، وأنا عندي أكثر من دليل يحض على السفر إلى مشاهد الأولياء وقبورهم والصلاة في مساجدهم ، وهذا القول منه عين الباطل ، بل هو المَيْن الصارخ ، إذ ليس هناك دليل أوثق وأصدق من قول رسول اللَّه ﷺ : « لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد .. » الحديث ، ولم يقل صاحب من صحابة رسول اللَّه صلوات اللَّه عليه ولا إمام من أئمة الدين بشد الرحل إلى غير المساجد الثلاث ، وكتب السنة أثرت بها المكتبات وهي مع

الكثير مع الناس وليس فيها حديث واحد أو أثارة من دليل يقولان بالسفر إلى مساجد الأولياء أو مشاهدهم ، إن من يقول بذلك معذور فيما يقول ، إذ هو مغلوب على أمره ؛ لأنه مأمور من مشايخه ألا يقرأ كتابًا من هذه الكتب ، وإنما يعطى كتيبات مشحونة بالقصص الخرافية والبدع الضالة والنظم الرخيص ، وهذه الكتيبات جعلت على عينه وعيون أمثاله غشاوة كثيفة لا يبصرون بها إلا الغث من الكلام ، وجعلت على قلوبهم أكنة حجرية لا يفقهون بها إلا الخرافة ، وهؤلاء معذورون ؛ لأنهم يرون دائمًا على صفحات الجرائد بعض علماء الأزهر الشريف يشدون الرحال إلى موالد الأولياء ويسافرون لزيارتهم والصلاة في مساجدهم ومشاركة العامة في احتفالاتهم ، فهذه المناظرة التي يراها الشباب جديرة أن تنطبع في نفوسهم وتنطق بها ألسنتهم ، وبها يحاجون المتمسكين بكتاب الله سبحانه وهدي نبيه عليه الصلاة والسلام ، ويكثرون الجدال والمراء ، وحجتهم هي سفر العلماء إلى قبور الأولياء ، وهي حجج منهم واهية وساقطة ولا تقف أمام الأحاديث الصحيحة التي بها نأتمر وبها ننتهي ؛ لأنها أحاديث رسول الله المعصوم صلوات الله عليه ، وهو ﷺ قدوتنا الطيبة ، وأسوتنا الحسنة ، ومثلنا الأعلى ، وهو القائل : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » . وهو القائل : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ؛ كتاب الله ، وسنتي » ، وهو القائل ﷺ : « فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » .

وقال : « بعثت بالحنيفية السمحة ، ومن خالف سنتي فليس مني » .

ومن ناحية أخرى فإن أئمة المساجد لهم أشرف عمل ، وأعلى منزلة ؛ لأنهم مقتدون برسول الله ﷺ الذي كان يتولى إمامة المسلمين بنفسه ، حتى التحق بربه ، فيجب تقدير الأئمة واحترامهم ، فلا يصح التطاول عليهم والثلب في وعظهم بدون علم أو دليل ، وإنما يجب علينا أن نسمع لهم ، ونعمل بما يقولون ، ما داموا على الجادة بقول الله وقول رسوله ﷺ ، وعلينا ألا نميل الميل الباطل مع هوى النفس أو هوى نفوس الناس ، بل علينا أن نتبع ولا نبتدع .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

فضل صلاة الجماعة

عن أبي هريرة ، قال النبي ﷺ : « ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا ، لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم ، ثم آمر رجلاً يؤم الناس ، ثم آخذ شعلاً من نار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد » . متفق عليه .

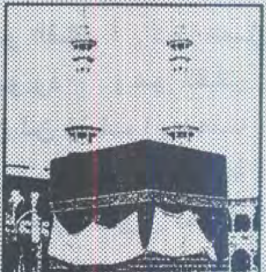

المجتمع الإسلامي وقضايا العصر

كتبه الشيخ :

مصطفى سيد عارف

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء ، وبعد :

نوضح في هذه المقالة بعض الأمور الهامة التي تتعلق بمجتمعنا الإسلامي .

أولاً : واقعنا المعاصر :

إن الإسلام يهدف من خلال تعاليمه السامية إلى إيجاد مجتمع إسلامي فاضل له صفات تميزه عن غيره من المجتمعات كالعفة والطهارة والامتثال لأمر الله ورسوله ﷺ .. إلخ .

وواقعنا المعاصر يخالف ذلك ، وترجع هذه المخالفة للاختراق الغربي لمجتمعنا الإسلامي الذي خلف وراءه رصيدًا هائلاً من التشوهات الفكرية والعقدية والنفسية ، وذلك في جميع المجالات .

في مجال الأخلاق والسلوك : غاب عن مجتمعنا منهج التربية الإسلامية الذي يدعو إلى العفة والطهارة والأخلاق الفاضلة .

وفي مجال التشريع : غاب عن مجتمعنا دستور الأمة الإسلامية الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، واستبدل بقوانين وضعية من صنع البشر .

وفي مجال العقيدة : غاب عن مجتمعنا مفهوم التوحيد الشامل بمعناه الصحيح .

وفي مجال العبادة : غاب عن مجتمعنا مفهوم العبادة المشتملة على الذل والخضوع لله رب العالمين .

ثانيًا : الصراط المستقيم في طريق المرسلين :

بالمقارنة بين صفات المجتمع الإسلامي الفاضل وبين واقعنا المعاصر يتبين لنا الفرق الشاسع بينهما ، فكيف نوجد في مجتمعنا الحالي هذه الصفات الحميدة التي ينبغي أن يكون عليها ، والجواب على ذلك ((بالدعوة)) . فهي الصراط المستقيم إذا كانت على منهاج النبوة .

ومعنى ذلك أن بعض الطرق التي تسلكها بعض الجماعات ؛ كرفع شعار من الشعارات ، أو لافتة من اللافتات ، أو بدخول المجالس عن طريق الانتخابات ، ما هي إلا طرق مخترعة تؤدي إلى إضاعة الجهد والوقت والمال .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، فينبغي على الدعاة أن

يركزوا على جانب العقيدة أكثر من غيرها ، ويقبلوا على دراستها وتفهمها أولاً ، ثم يعلموها لغيرهم ، ويدعوا إليها من انحرف ، أو أخل بها ، ولا يعني ذلك إهمال جانب العبادات والمعاملات والأخلاقيات.

ثالثًا : عوائق يجب أن تزول وأولويات يجب أن تقوم :

الدعوة إلى الله إذا كانت على منهاج النبوة تحتاج إلى جهد كبير ونظام دقيق وفهم عميق ، فهناك أولويات يجب أن تقوم .

أولها : وحدة الصف :

قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] ، فعلى العاملين في حقل الدعوة أن يجمعوا صفهم وكلمتهم وفكرهم وجهدهم للعمل لدين الله عز وجل ، فيجب عليهم إزالة العوائق التي تؤدي إلى الاختلاف والانقسام والتعصب وتشتيت الجهد وتعطيل الطاقة .

وهذه العوائق تشتمل على تعدد الجماعات التي تسعى إلى إيجاد عزة الإسلام وشوكته ، ومما لا شك فيه أن أفراد هذه الجماعات قوم مخلصون يريدون عزة الإسلام وشوكته ، ولكن الحق أحق أن يتبع ، فالجماعة التي أشار إليها النبي ﷺ في حديث حذيفة في الفتن هي جماعة المسلمين التي يجمعها شهادة : لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وهي الجماعة التي لا يفارقها التارك لدينه .

ثانيها : إقامة الدين في المسلمين :

ومعنى إقامة الدين في المسلمين تعريفهم بربهم جل وعلا ، لكي يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، ويكون ذلك بالدعوة من خلال الكتاب والسنة .

فيجب على الدعاة أن ينتبهوا لهذا الأمر ، ولا يسبقوه بشيء آخر ، فالذين ينادون بإقامة الخلافة الإسلامية أو قتال الأعداء هم قوم مخلصون يريدون عزة الإسلام وشوكته ، ولكنهم لم ينتبهوا إلى أمر هام ، وهو أن شوكة الإسلام تابعة لوجود الإسلام ، فحينما وجد الدين وجدت الخلافة ، وحينما ضعف الدين ضعفت الخلافة ، وحينما ضاع الدين ضاعت الخلافة ،

ومما لا شك فيه أن الاستخلاف في الأرض وعد الله ، ولا يتحقق هذا الوعد إلا بعد إقامة الدين في المسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] .

فمن خلال التمكين والاستخلاف الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات تبدأ مراحل القتال المختلفة .

ثالثًا : الفهم :

فالإعراض عن فهم السلف لأدلة من الكتاب والسنة يؤدي

إلى التخبط في الأمور كلها ، فالبعض يصل بهم الفهم إلى تكفير من حكم بغير ما أنزل الله ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، ويكون بذلك قد أطلق لفظ الكفر بدون تقييد ، وهذا خطأ ؛ لأن سلف الأمة لا يكفرون من حكم بغير ما أنزل الله - الكفر المخرج من الملة - إلا إذا استحل ذلك بقلبه ، أو جحد شرع الله .

فعن ابن طاووس عن أبيه قال : سُئل ابن عباس عن قوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ الآية ، قال : هي به كفر ، قال ابن طاووس : وليس كمن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقال الثوري : عن ابن جريج ، عن عطاء أنه كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق . [رواه ابن جرير] .

وعن سعيد المكي عن طاووس : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ قال : ليس بكفر ينقل عن الملة .

وعن طاووس ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، قال : ليس بالكفر الذي تذهبون إليه . [رواه الحاكم في « مستدركه » من حديث سفيان بن عيينة ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، انظر « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (ج٢)] .

وكذلك يؤدي الإعراض عن فهم السلف لأدلة الكتاب والسنة إلى ما هو أخطر من ذلك ، فهناك البعض وصل به الفهم إلى تكفير المجتمع بحجة أنه لا يعلو فيه سلطان القرآن ، وما دام لا يعلو فيه سلطان القرآن فهو مجتمع كافر وداره دار حرب لا دار إسلام .

وهذا خطأ عظيم ؛ لأن تقسيم البلاد إلى دار إسلام ودار حرب أمر اجتهادي من العلماء المجتهدين ، وليس هناك نص من الكتاب أو السنة يؤيد ذلك .

والمحققون من العلماء قالوا : إن مدار الحكم على بلد بأنه بلد إسلام أو بلد كفر هو الأمن على الدين ، حتى لو عاش المسلم في بلد ليس له دين ، أو دين غير دين الإسلام ، ومارس شعائر دينه بحرية ، فهو دار إسلام .

وقال الإمام أبو حنيفة ، رضي الله عنه : إن مدار الحكم هو أمن المسلم ، فإن كان آمنًا بوصف كونه مسلمًا ، فالدار دار إسلام ، وإلا فهي دار حرب .

فهذه الأمور يجب أن تراعى ، وهذه العوائق يجب أن تزول ، ولنعلم أنه لا يصلح آخر هذه الأمة ، إلا ما أصلح أولها .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وصحبه وسلم .

أهم المراجع

١- « الجماعة والجماعات » أ.د/ عبد الحميد هنداوي .

٢- « بيان للناس » فضيلة الشيخ / جاد الحق علي جاد الحق ، شيخ الأزهر السابق ، رحمه الله .

٣- فقرات من بيان الشيخ / محمد أحمد الأنصاري أستاذ الإسلاميات بجامعة بهاوي بور باكستان ، إعداد الشيخ / رجب مذكور .

٤- « قواعد المجتمع المسلم » الشيخ / محمد حسان .

٥- « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (ج٢) .

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها :

١ - الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب .

وإلى حب اللَّه تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه ، وحب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة .

* * *

٢ - الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور .

* * *

٣ - الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط : عقيدة وعملاً وخلقًا .

٤ - الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل اللَّه فكل مشروع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - متعدٍ عليه سبحانه ، منازع إياه في حقوقه .

تلقى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية مساء الأحد والأربعاء من كل أسبوع .

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤ .

تعلن عن توافر شهادات التَّقدير و التفوق و النجاح ،
و حسن السير و السلوك . و كشف بالدرجات ،
شهادات جاهزة و أخرى فارغة حسب الطلب و بأشكال
و نماذج و أحجام مختلفة رائعة فى التصميم ، قيمة فى الإبتكار
و هى بهذا العمل تستكمل مكتبة الوسائل التعليمية .
و التربوية المصورة لجميع المراحل التعليمية .
و هذه بعض نماذجها

DESIGN & COLOR SEPARATION BY SOFT SCREEN TEL : 3026328 - 3452907

مكتبة الوسائل التعليمية و التربوية لدار الصحابة بطنطا شارع المديرية ت/ ٣٣١٥٨٧ / ٠٤٠ تليفاكس / ٣١٢٢٧١ / ٠٤٠ ص. ب- ٤٧٧ الرمز البريدى ٣١٥١١